# الجريمة الرابعة

رواية

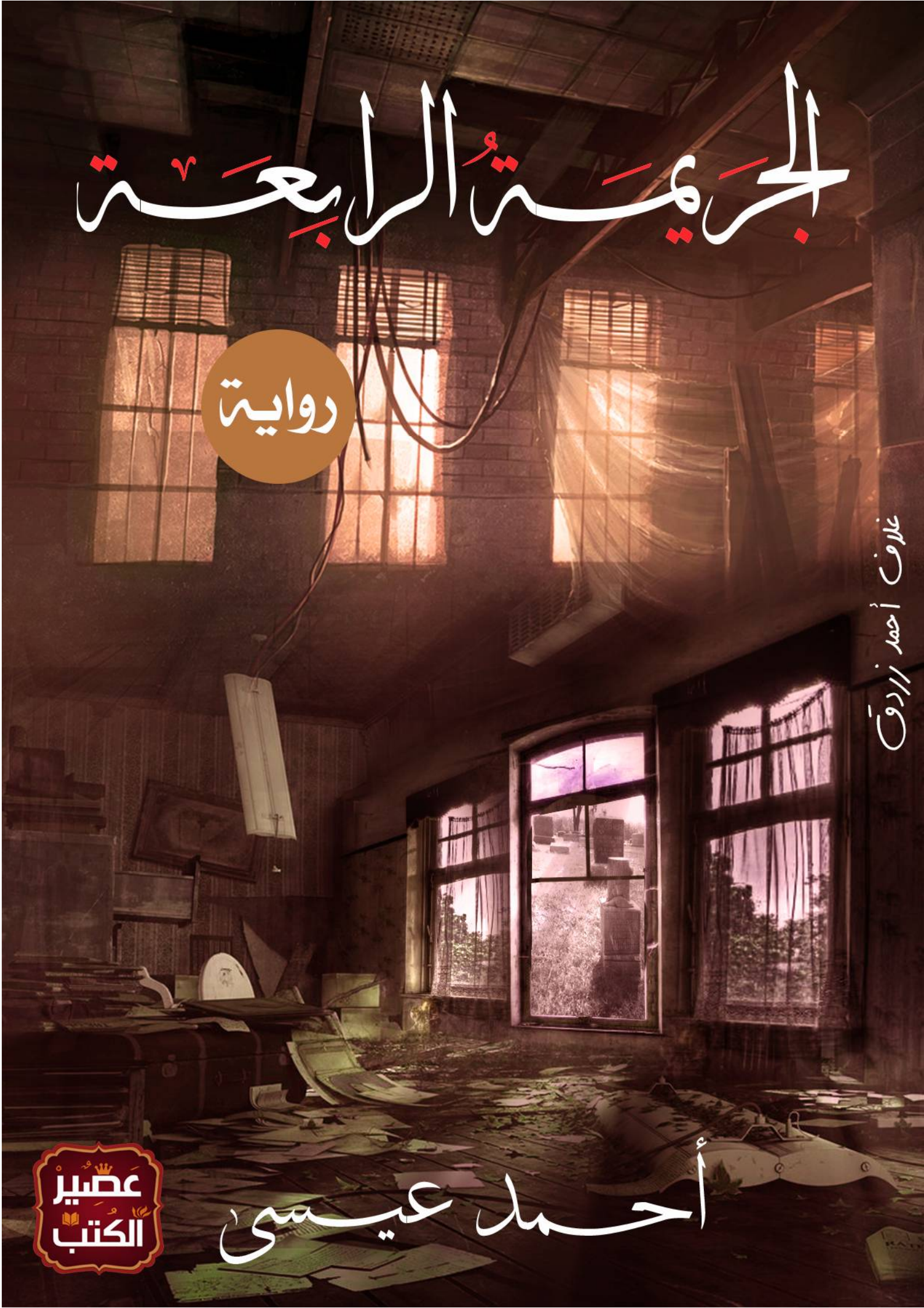

غلاف أحمد زاردق

أحمد عيسى

عصير الكتب

# الــجريمة الرابــعــة

# أحمد عيسى

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

http://book-juice.com

الجريمة الرابعة

المؤلفة : أحمد عيسى

نشر في :ديسمبر ٢٠١٦

تصميم غلاف:أحمد صلاح زردق

تقييم وتصحيح: مها أدهم $ سلمى أشرف

تنسيق داخلى : عصير الكتب للنشر الالكتروني

## إهداء

**إلى العقل الذي استسلم إلى الشك ليُسيطر على توقع المرء في ظل غموض الأحداث وعنفوانها.**

## مقدمة

في إحدى الليالي الشتوية والرداءات الثقيلة علي الاجساد امامه ، يمشي محمود في طريقه بينما يتعثر ويقع في أبيارٍ من الشك والغموض ، تزهق ارواحاً ُمحببة الي قلبه ويُصعق من الاصدقاء المقربين له ، لكن في غمضة عين ؛ يتحول الاستسلام الي قوة ، والشك الي اليقين ، لتأتي نهاية الانتقام الُموجع علي غفلة من العقول

# الفصل الأول

لم تكن للسماء بُعد القوة الكافية في هطولٍ عنيف يُدرك بالسحاب الرماديّ ، وعلي الرغم من ذلك ؛ استعد الباعة و أصحاب المحلات لتلك العاصفة العاتية المجاورة لقسم الشرطة بأحد شوارع الأسكندرية ، مبني بسيط يتكون من مدخلٍ عليه حارسين في زيّ عسكريّ يحملوا بندقية من الجنب والحذاء اللامع شديد السواد ، ثم الي ممر ليس بطويل لندخل الي مكان كبير نسبياً به أربع مكاتب علي الجانبين ثم في نهايته سلم يوصّل الي الطابق الثاني من هذا المبني .

وقف (سيد) أمام قسم الشرطة بعد ان انحني واعطي للسائق ورقة مطوية فئة الخمسة جنيهات ودارت محركات السيارة مبتعدة ، رمي بنظره يمينا ويسارا وهواء بارد يداعب انوف المارين ، دلف الي داخل القسم وهو يهندم معطفه البني ويسمع طقطقة حذائه الأسود اللامع في ضوء مصباح صغير علي جانب المدخل ، أضفت أناقته بعضاً من حسن المظهر رغم كثافة شعر ذقنه المنتشر بطريقة هوجاء في وجهه ، صعد الي السلالم الخشبية متجها الي الطابق الثاني حيث يختلف التصميم عن الطابق الارضي ، الذي يتكون من سبعة مكاتب موزعة علي الجانبين ، وفي نهايته حمام متوسط الحجم .

وقف سيد امام باب كُتب عليه (المقدم / رحيم علي) ، ثم تحدث مع الحارس للمكتب ، فدخل العسكري الي المكتب بعد ان استأذن في هيئة قرع الباب وغاب لحظات قليلة ثم خرج ماددا ذراعه الي سيد ليدخل .

خرجت منه تتهيدة بسيطة ملأ بها صدره بهواء الثقة الُمستمدة من اللاشئ وبخطواتٍ مصطنعة الثبات دخل الي المكتب واغلق الحارس الباب خلفه .

استغرق بضع ثواني حتي يستوعب عقله المكتبة العريضة التي تَزخ كُتبا كالامطار في الخارج ، تَمثَل بالجمود رغم ملامحه المخالفة لأي عبوس يصيب الوجوه وهو ينظر الي المقدم رحيم حتي رفع عينه عن الملف المفتوح امامه ، قرأ سيد عقله الشارد في ضوء المصباح الخافت الذي ينبعث من مصباح يتيم فاقد عذريته من يد هذا الرجل الغريب الضخم مثل شاربه الغليظ الذي يغزو شفتاه ، واخيرا .. اشاح بيده لسيد كي يجلس علي الكرسي امامه .

بدأ يحرك رحيم يده الغليظة علي الملف يتحسس بقراءة ، وبنظرات اليأس من وجود حل لتلك القضية وفك طلاسم صروحها المنيعة رفع عينه الي سيد الذي اجتاحته قشعريرة بجسده كله من عيني ورحيم العسليتين ثم تحشرج صوت رحيم وكأن سيارة ُمحملة بألاف الاطنان من البضائع ولا يستطيع محركها ان يحرك السيارة ، بدا رحيم في صوته وكأن حنجرته تتلوي من كثرة التبغ وغيره .

قال رحيم : كيف هرب من ايديكم ياسيادة النقيب ؟
أدرك سيد من نبرة الاستهزاء ان القادم سئ للغاية ، ثم رد في حزم قائلا :
لم نتمكن الامساك به ، فلقد كان المكان واسعا جدا والاخبارية أتت لنا علي حين غفلة ، لم لقد فعلنا ما بوسعنا ان نفعله ياسيدي .
قال رحيم :وكيف له ان تُرتكب جريمة ثانية في نفس وقت هروبه من ايديكم ؟ .

قال سيد وقد بدأت اصابع قدماه ترتعش داحخل حذائه : من الممكن ان يساعده اخر .

قال رحيم وهو ينظر للملف : أو ربما آخرون !

سكت سيد بعد ان عرف رحيم خذلان المهمة واصابتها بالفشل الذريع رغم محاولة الاول في تبرئة موقفه من المهمة الفاشلة لكن رحيم قرأ في عيونه الكذب ، نظر رحيم في الملف يتفحصه امامه وصورة الشاب المطعون في قلبه ، شعر بسيد الجالس امامه وينظر الي الارض في خوف من كلمات رحيم القادمة ، فإذا غضب رحيم لا يري امامه فقط يُمطر من يكلمه بصفعات ولكمات بلسانه الحاد ، لكنه فوجئ بيده تمتد بسيجارة من نوع فاخر يقدمها له رحيم ، التقطها سيد وهو يرفع حاجباه بدهشة من تصرف المقدم رحيم ، ويشعلانها ثم يردف رحيم زافرا في الهواء سحابة كبري من الغضب :

سيكون هناك اجتماع هام كي نناقش فيه مرة اخري تلك التفاصيل ياسيد ، لكن الفرصة القادمة هي الاخيرة لك في التحقيق بتلك القضية وانهائها ، فالبلد الان علي احر من جمر ولا يستهان بتلك الامور ، وانت تعلم ذلك جيدا ، فلابد من الاسراع والاهتمام والتحقيق بشكل دقيق في تفاصيل القضية .

انهي رحيم كلامه وقد ادرك سيد ان تلك المقابلة قد انتهت للتو بتلك الكلمات الاخيرة ، وقف متأهبا للخروج ثم استدار واتجه ناحية الباب واغلقه خلفه وتنفس الصعداء ، فلقد طغي علي رحيم تلك الملامح العبوسية منذ القدم ، ولعل هذه الملامح التي قلما تبتسم هي من اثر القضايا والتحقيقات التي يمارسها في عمله ، فجعلت من تفاصيل وجهه الغموض والجمود .

خرج سيد من المبني ُمتجها الي مقهي صغير بعيدا عن القسم ، ثم جلس وطلب من النادل فنجان قهوةٍ يُحبذها بعد كل مقابلة لرحيم حتي ينسي بطعمها تلك الملامح ،

أتي النادل بالقهوة ثم لوح شاب بعيدا يتجه ناحية سيد ، اقترب فميزه ، شاب في مقتبل عمره يرتدي قميصا ابيض اللون وبنطالا أسود ، اعطي له سيد المساحة في ان يلقي التحية عليه ، جلس الشاب في مواجهة سيد حتي قال الاخير :

لقد كان من الممكن ان يُفتضح أمرك ياسعيد .

قال سعيد بوجوم :

لا تقلق ياسيادة النقيب ، خطأٌ ولن يتكرر مرة أخري

أمسك سيد بفنجان القهوة الابيض واستنشقها قبل ان يُقربها لشفتاه وقال : يجب ان نقضي عليها في أسرع وقت .

أعطي له سيد ورقة صغيرة كُتب عليها عناوين مختلفة وقال : تلك العناوين ستجدها فيها ، لكن ضع عيناك في وسط رأسك ، فمن الممكن ان يأتي البلاغ الينا وانت في احدهم فيقطعوا جسدك إرباً ولن يرحمك توسلك وتقبيل الايادي حينها .

هز رأسه سعيد موافقا ثم انصرف ، وترك سيد يقبل القهوة بشفتيه ، مُستمعا الي موسيقي قديمة تنبع من بوق الجرامافون الخاص بالقهوة ، والتي تزلزل اعماق نفسه حين يستمع اليها .

# الفصل الثاني

**٢٨ نوفمبر ٢٠٠٤**

**الساعة ٤:٠٠ فجراً**

**مّر يومان علي مقابلة سيد بسعيد واعطاءه المعلومات الكافية التي تستقل فيها الضحية بمفردها في اماكن متفرقة ، وقد دونها النقيب سيد في ورقة واخذها سعيد الي بيته ، وعندما دخل البيت اراد ان يأخذ قسطاً من الراحة قبل ان يرتكب الجريمة الثانية له . دلف الي الشقة واغلق الباب خلفه مستنداً علي الكومود الجانبي ، ووضع مفاتيحه وهاتفه ، واخرج الورقة التي قد اعطاها له سيد المدونة بالعناوين وقربها من عينيه ، ثم انزلها ومشي حتي وصل الي الاريكة الكبيرة في صالة صغيرة ، تواجهها صورة معلقة علي الحائط جمعت فيها العائلة ، الاب ، الام وهو ، كان قصير القامة وبدين قليلا ، نظر اليها في ألم علي الحال الذي تبدل واصبحت الذكريات مجرد خبر كان لعين يضاجع فكره كل ما نظر لتلك الصورة ، لكنه لا يريد ان يُخفيها عن عينيه ، فلقد كانت الذكريات كل ماتبقي له من حنان ودفء لم ولن يري له مثيل .**

**قام ليصنع مشروباً في المطبخ ووضعه علي المنضدة امام الاريكة واسند ظهره واسترخي ، فاليوم .. هو الموعد المحدد لالتهام الفريسة القادمة ، لكن ستبدأ انيابه بفتكها في وقت متأخر من الليل ، حيث يكون الناس نيام ويستطيع ان يتخفي بين ظلمات الليل الكاحل .**

**ارتشف قليلا من عصير الليمون المحبب لفمه ولمعدته المجهدة دائما ، بسبب الافراط في الاكل الخارجي ، فمنذ التشتيت للاسرة ، اصبحت ايامه بلا طعم مثل ذاك الاكل تماما ، استغرق في تفكيره في القادم وماهو آتٍ في السويعات القليلة ، متي**

**ستكون متواجدة الضحيةفي تلك العناوين ، واين ؟ وكيف السبيل للهرب بعد القضاء عليها ؟! ، اسئلة اجتاحت عقله وهاجمته دفعة واحدة ، لكنه تيقن ان العناوين يتوفر فيهم اجابات تلك الاسئلة ، هذا علي حسب كلام النقيب سيد له بأن المكان سيكون مُهيئاً للخروج بسهولة .**

**تجرع من كوبه جرعات كبيرة حتي انتهي منه ، وانتظر امام شاشة التلفاز قرابة ساعة حتي دقت الثالثة بعد منتصف الليل ، تأهب ليخرج من الشقة ، متمما علي كل اغراضه لتلك المهمة ، رن هاتفه فجأة وعرف انه النقيب ، ضغط علي الزر ورفعه الي اذنه الصغيرة وفهم ان النقيب قد عرف كل شئ عن تلك الضحية ، وأخذ منه المكان المنشود ووصل اليه سعيد في عشر دقائق ، بعد ان داعبت نسمات الهواء الباردة وجنتيه نظر لتلك العمارة المكونة من عشر طوابق ، وأن الفريسة في الطابق الرابع منها.**

# الفصل الثالث

**شقة أم محمود**

**ديسمبر ٢٠٠٤**

**الساعة ١٢:٣٠ ظهرا**

**داخل شقة ام محمود نجد صالة طويلة نسبيا ، مُكونة من ٤ غرف وحمام ومطبخ في نهاية الصالة ، تحركت عقارب الساعة مُباغتة انعكاس صورة محمود عليها الجالس امامها يشاهد التلفاز ، شابٌ في عشرينياته يحمل الصفات الريفية في وجهه ، لا سيما لهجته في الكلام التي يحاول ان يخفيها بسبب طبيعة عمله في مطعم مجاور للشقة ، فلقد استأجر تلك الشقة بعد ان طُردوا من بيتهم في الريف من قبل عمهم ( رحيم ) ، فلقد كانوا في خلاف معه دائما بسبب امور الوراثة التي لا تنتهي ، ولان الجد فضل ابو محمود في تقسيم ميراثه ، ذاق الابن والبنت مرار تلك السنين وذاك التصرف الغير مقبول الذي ارتكبه الوالد ، دفعته الابنة ثمناً باهظاً لتكفير ذنبه .**

**ظل محمود شاردا في شاشة التلفاز الي ان اتي صوت امه من المطبخ تناديه ، قام بحركة آلية دون ان يجيبها ثم دلف الي المطبخ ، اسند رأسه علي خدّي الباب وظهره انفرد علي طول الباب ، كانت امه تُعد الطعام علي عجلة من امرها ، فاليوم سوف تذهب الي جارتها التي تحبها وتريد ان تدعوها علي العشاء ليلا ، خرج منه سعال بسيط وقال : سوف أذهب لاشتري طعام غد بعد ان انتهي من عملي يا امي ، لا تنسي ان تكتبي لي ورقة بكل الاحتياجات .**

**وقفت الام امامه في حيرة علت وجهها وقالت :**

**لم يكن اليوم هو نهاية الاسبوع ، هل يعطي لك صاحب العمل نقودك مبكرا ؟ .**

**نظر لها وقال : لا يا أمي ، فاليوم استثنائي بعض الشئ ، فهو عيد ميلاد ابنة صاحب العمل ، فاليوم ستُرفع الاجور لكل العاملين تباركاً لهذا اليوم ان يمر بسلام عليه .**

هزت رأسها ولم تعقب ، شعرها الابيض الذي يتخلله بعض الشعيرات السوداء اضاف علي ملامحها العجز المبكر ، رغم صغر سنها ، اثنان وأربعون عاما من الصبر والجمود علي هذا العم الذي انتهك جميع حرمات بيت اخوه ولم يترك شيئاً يتذكر له لحظة سعيدة ، بالاضافة الي انه يعمل كرجل شرطة بقسم الاسكندرية ، فسيكون التبليغ عنه أمر صعب للغاية ، وايضا محمود وا مه قد رضخوا لهذا الظلم ، ُملتمسين رحمة الله ان تنزل فتجيب صرخات قلوبهم الُمحرقة .

خرج محمود من المطبخ واتجه الي غرفته واغلقها خلفه ، تحسس الجدار خلفه حتي اصطدمت انامله بزر الاضاءة وضغط عليه وظهرت ملامح الغرفة ، سرير متوسط الحجم بالكاد يسع اثنان لينامو ا عليه ، مكتب صغير امامه ، شرفة صغيرة تسقط عليها ستارة بيضاء ، ومكتبة صغيرة في جانب الغرفة بجانبها دولاب ، مشي حتي وصل الي المكتب وجلس خلفه ثم وضع يده علي درج في اسفل المكتب وأخرج ورقة منها ثم صورة له ولهالة اخته ، نظر للصورة مطولا يتذكر ملامحها ، عينيها وابتسامتها الرقيقة وشقاوتها في المنزل الريفي ، كان ُمتعلقا بها أشد التعلق ، فلم يخبئ عنها شيئاً ، كانا يتحدثان سويا ويلعبان سويا ويأكلان ويشربان ، يوزعون التمر والعصير علي أهل القرية في ليالي رمضان ، وتعلو ضحكاتهم معاً عندما تنتهي ع ُلبة التمر في افطار الصائمين ، وي ُقطّر العصير قطرته الاخيرة في كوب بلاستيكي أبيض ، ثم يذهبون للبيت يضحكون علي شربة ماء تكفيهم ، وحضن امهم يطعمهم ويشبعهم ، كان ينظر لها في الصورة التي التقطتها امهما في عيد ميلادها الثالث والعشرين ، كانت تضحك وابتسامتها تعلو وجهها ، ازدادت بريقها في هذا اليوم حين اتي لها بهديةٍ تراقصت حوله حتي تعرف ماهي ، جمدت ملامحه وعيناه تحجرت علي صورتها وخانته دمعة عينه التي سقطت علي فخذه ، قال في اعماق نفسه " كل عام وانتي الفرحة ياهالة " ، فانهمر في البكاء فجأة واضعا يده علي فمه حتي لا تظهر صرخاته المكتومة بداخله ، نحيب وشجن اصاب قلبه منذ تلك الحادثة المشئومة ، من بين دموعه المتساقطة كان ينظر لها قلبه ، ظل يبكي حتي ازداد حلقه في وجعه من شدة كتمان صوته الصارخ ، كانت تلك

**الحياة الجميلة يُعاصرها ويقوي بها علي صعاب الحياة ، اصبحت ذكري ، فاليوم هي السنوية الثامنة لهالة**

# الفصل الرابع

**يناير ١٩٩٧**

**سطعت الشمس ليوم جديد علي الاراضي الزراعية المحيطة لمنازل ريفية حملت طابع بسيط من العمارة ، كان هناك طريق صغير يقود نهايته الي طريق رئيسي وفي النهاية الاخري أراضي زراعية شاسعة ، كان بيت عائلة محمود هناك ، علي الطريق الصغير ، منزل بسيط جدا يتكون من طابق واحد وشرفة كبيرة في منتصفه ، وعندما ننظر الي الشرفة نجد هالة ناصعة البياض مُكحلة العينين تزيدها بريقا وروعة ، تمسك ملابس مبللة وتضعها علي الحبال ، تراقصت خصلات شعرها التي لم تعرف ان تقاوم جمال الشمس ولا نسمات الهواء الرقيقة ، ولا تلك الطرحة التي زادتها جمالا ورونقا بديعا ، كانت الاطفال تلهو بعيدا عن البيت ، وتغرد عصافير ملونة حولها علي الاشجار والنخيل في الحقل امامها ، ولم تسلم الشمس من ملامسة جلدها الرقيق حتي انشقت اشعتها نصفين تحميها من كل عين تنظر لها من البيوت المجاورة ، فلقد كان المنظر بديعا حقا امام عينيها السوداويتين ، الحقل الاخضر والمنازل والطبع الريفي الغيور علي حرمات المنازل وعدم النظر لها ، انتهت من عملها ثم رمت بماء الغسيل في الشارع بعد ان نظرت يمينا ويسارا قبل ان تلقيها فتُحدث صوت ارتطام الماء بالارض ، ثم دخلت .**

**استيقظ محمود ودخل الي الحما البسيط في جانب الصالة التي عُلقت بنصفها ستارةٌ تَستر من يخرج من الحمام عند زيارة ضيف ما ، بادت الصالة وكأنها مقسومة نصفين ، لكن الراحة الاكثر متعة هي تلك الطاولة الصغيرة التي وُضع عليها طبق فول بالزيت الحار والليمون يطغي علي وجهه البنّي ، وبجانبه قطع من الفلافل الساخنة ويتوهج**

بجانبهم أرغفة العيش المرصوصة من يد هالة الرقيقة علي جوانب الطاولة ثم نادت بصوت يسمعه الام ، واخوها وحبيبها وكل حياتها محمود ، أتيا معاً مستنشقين عطر الطعام الذي تأكله انوفهم ، ولعابهم الذي جري بين فكيهما عندما رأوا تلك الطاولة وذاك الطعام ، كانت هالة تُغرد مثل العصافير في الخارج ، فهي عصفورة البيت ، ورغم كبر سنها ونضجها العقلي الا انها ظلت تحتفظ بتلك الطفولة الرقيقة العذبة داخلها ، كانت بهجة البيت وقلوب من فيه بعد وفاة الاب .

انتهي محمود من طعامه حامدا شاكرا بعد ان ضحكوا الثلاثة واغرورقت عيناهم من كثرة الضحك ثم أتي صوت الام بعد تنهيدة من ضحك طويل " لعله خير " ، ثم توجه محمود الي غرفته الصغيرة وارتدي جلبابه ثم خرج ليتجه الي عمله في أرض والده الذي تركها له بعد موته ، وقبل يد امه وجبين هالة ثم انصرف مع تبادل النظرات والابتسامات والدعوات له .

باشرت هالة اعمال المنزل الروتينية كالتنظيف والكنس والطبخ وغيرها ، وتتمايل سيقانها في خفة وهي تستمتع بوقتٍ تفضله جدا ، وهو الوقت مابين الساعة الثامنة حتي العاشرة ، لا تعلم السبب لكنها اعتادت علي تلك العادة ، تركت بصمات يدها الناعمة علي الارائك والكراسي وكنست الارضية ثم توجهت للمطبخ لتنظفه ثم تبدأ في اعداد الطعام مع والدتها ، كانت السند لها والعون في كل شئ ، فقط عندما تنادي الام عليها تأتي لها علي الفور في طاعة وحب ، وعندما انتهيا من اعداد الطعام جلسوا معا امام شاشة التلفاز يضحكن ويثرثرن في كل شئ عدا الذم في خلق الله ، كانت الام تمشي علي مبدأ ، دع الخلق للخالق ، وَربت بنتها علي ذلك ، اما محمود فلقد كان تاركا الحياة جانبا ، وعمله جانبٌ اخر ، فشغله الشاغل هو ان يوفر القوت اللازم لليوم وتجهيز اخته حين يأتي لها شاب يطمئنوا عليها معه .

فجأة قرع الباب بقوة ، من الذي يطرق الباب بهدا الشكل المرعب ، ترددت الام في الفتح لكن الطارق ألح علي فتح الباب والا كسره بالقوة ، مشت الام وهالة تقف خلفها وبرعبٍ مدت يدها الي مزلاج الباب وعندما ابتعدت اقفاله عن بعضها انفرج

الباب علي مصرعيه وشهقا الاثنان عندما رأيا رحيم واقف امامهم ، جري ناحية الام التي حاوطت هالة بكل قوتها في ظهرها لكن يد الرجل كانت اقوي بكثير ، امسك بتلابيب عبائتها المنزلية وقال :

امضي علي ورقة التنازل ايتها المرأة

هزت ام محمود رأسها نفياً وهي تنظر له في رعب وتتوزع عينا هالة علي رحيم وامها ، ثم استدارت رأس رحيم الي هالة وترك الام واتجه ناحيتها ، فتقهقرت هالة بخطواتٍ غير ثابتة حتي اختل توازنها وسقطت علي ظهرها حتي اصبح رحيم يقف امامها ، طوي الورقة ووضعها في جيبه حين رأي جسد هالة مفرود امامه في رعب.، تحركت كلاب عقله وجثي عليها في صرخاتٍ من الام لتستغيث من هذا الوحش النائم علي ابنتها ، لم تجد الصرخاتُ مستغيث حتي جرت الام وألقت بيدها علي ظهر رحيم حتي يقوم من علي ابنتها لكن كانت صفعة واحدة كافية لتكوم الام علي الارض فاقدة الوعي ، وصرخت هالة بكامل قوتها ، قام رحيم من فوقها مسرعا ثم قفل زر بنطاله وتعثر في الام خلفه فسقطت عليها ، ثم وقف ثانية وجال ببصره بسرعة علي الكومود الصغير ، فتح الدرج الاول فوجد الختم الخاص بأخوه ، ثم اخرج ورقة التنازل وبيد مرتعشة طبع الخاتم علي الورقة ثم اخرجُ مسدسه من جانبه والقي نظرة علي هالة التي لم تحرك ساكنا ، وأطلق رصاصة علي قلبها فاهتز جسدها فجأة وانسال الدم منه .

سمع محمود وهو في الارض صوت تلك الطلقة فجريُ مسرعا ناحية البيت وألفا من السيناريوهات تجول بخاطره ، لكن واحدا منهم تمني ان لا يحدث ، لكنه صُعق بالتفاف الناس حول منزله ، جري بسرعة شديدة علي البيت وهو يضرب ويدفع كل من امامه حتي وصل الي داخل البيت ، الام كانت راقدة علي الارض ، وهالة نائمة مغطاه بملاءة السرير التي نامت عليها ليلة امس ، والجمع في الخارج انفض بمجرد وصول محمود ، اللهم الا جاره الشقيق ، اقترب محمود من هالة وازاح الملاءة من عليها فأصاب عقله التوقف فجأة والقلب عن الدق والزمن انتبه لتلك العيون الجاحظة ، فرغ فاه لا يبكي ولا يتألم ، فقط جحظت عيناه علي جثة هالة يتفحصها ويعلق عينيه علي

**وجهها الشاحب ووجها الذي يسيل منه الدم ، ثم سمع صوت انفاس امه بجانب هالة الراقدة وسمع صوتها تقول " رحيم يامحمود " .**

**جثي بركبتيه بجانب وجه هالة ثم التقطها وقربها من شفتيه حتي طبع دمائها عليها ثم احتضنها بقوة وكأنه اراد ان يدخل رأسها الي صدره ، وأطلق صرخة دوت في ارجاء القرية زلزلت قلب امه ، ثم دفن رأسه بين شعرها باكياً .**

# الفصل الخامس

خرج محمود من غرفة مكتبه وقد جفت دموعه وتركت اثراً عل عينيه فدخل الي الحمام كي يغسلها ، ثم خرج الي الصالة فوجد امه قد هيأت له الطعام وجلسا كي يأكلان معاً ، لمحت امه اللمعة في عينيه واثبتت ما دار برأسها انه كان يبكي عندما سمعت تنهيدته المتصاعدة تدريجيا وكأنها متقطعه ، لكنها كشفت ماكان يخفيه ، فارادت الام ان تزيح هذا من علي كاهله قائلة :

اذا كان بأمكانك ان تذهب للسوق كي تشتري لي بعض الخضروات والفاكهة ، فمن المحتمل ان تأتي لنا جارتك ونطعمها بل وتبيت معنا .

هز محمود رأسه وهو يضع قطعة من اللحم داخل فمه ويمضغها ، وتمني ان يكون رحيم بين فكيه الان فيطحن عظامه ويعصر جسده دماً ، لكنه انتبه فجأة لتقطيب حاجبي امه امامه واستغرق في الاكل حتي لا تُركز في تفاصيله الغاضبة اكثر من ذلك ، انتهي وشكر امه ثم غسل يديه واتجه الي غرفته وحملت الام الاطباق الي المطبخ .

خرج محمود وقد ارتدي لباساً نظيفا ثم استأذن من امه ، تودعه بنظراتها الحانية.ودعوات قلبها التي لا تكل ولا تمل من قولها ، ثم اغلق محمود الباب خلفه ، وتأهبت الام كي تغادر المنزل وتتجه الي شقيقتها الثانية التي لم تنجبها ابويها ، فلقد اصابتها الراحة بمجرد ان رأتها ذات مرة في تلك العمارة ، حتي اصبحا اصدقاء ويبادلان بعضهما البعض الزيارات والمأكولات ، كانت متزوجة من رجل يعمل مهندساً كهربائياً ، لكنه الزوج الثاني في حياتها ولم تجرؤ ام محمود ان تسألها ماسبب الانفصال او اي شئ من هذا القبيل ، فلقد خافت علي جرح مشاعرها بأسئلة لا تُعني لها شئ .

دلف محمود الي المطعم الواسع ذو مناضد دائرية ، علي كل.واحدة منهم ٣ مقاعد جلدية فاخرة وفي نهاية المطعم مسرح صغير يعزف عليه فريق المطعم الموسيقي التي

تحتل العقول الواجمة ، اطلق علي زملاءه التحية وقد كان الحفل يبأ ليلا ، لذلك استبدل ملابسه بملابس العمل الي حين يأتي موعد الحفل .

استغرق محمود في وضع الطلبات للوافدين للمطعم يطلبون الشراب والطعام ومنهم من أتي ليستمع الي الموسيقي ليختل توازن عقله ويسقط في تمرد جيتار عازفه ، أتت الساعة السادسة مساءً وقد استبدل محمود ملابسه وزملاءه ايضا استعداداً للحفل فلقد أتي المصورون والعازفون واقارب صاحب المطعم وأتت الجميلة ابنته في أبهي صورة لها ، دلفت الي القاعة الخارجية في وسط تصفيق الجميع حتي اتت امام والدها وقبلها من يدها ثم احتضنها وتعالت الاصوات بأغاني عيد الميلاد والرقص والضحكات هنا وهناك ، بينما كانت الزملاء لمحمود يتمتعون بالطعام والشراب والرقص واطلاق النكات التي تنفرج لها الافواه ، وهو يقف بعيداً مصطنعاً الانشغال كلما نظر احد ناحيته ، كان يتذكرها ، يراها ، يري ابتسامتها ، يشعر بنفسها الذي ملئ قلبه بها ، يري وكأن ثمانية سنوات مروا كثمانية ثوانٍ وقفت فيهم صاحبة الحفل تنفخ في الشمع حتي انطفأ وصفق الجمع ، وكتم بداخله آهاتٍ تُسمع في رماد السماء واحتكاكه ببعضه .

# الفصل السادس

**٢٧ نوفمبر ٢٠٠٤**

**الساعة ٤:٠٠ عصرا**

**استرق عصام هاشم نطرة الي ساعته ، كانت ال ٤ عصراً ، ولم يساهم اي شئ حوله في تصفية ذهنه الُمعكر ، فهو ينتظر مكالمة من ذاك الرجل الغريب الذي لا يعرفه ، لكن ما يعرفه هو انه صاحب شركات كبري واعمالٌ مخالفة للشرع والقانون ، ودخل في تلك المتاهة في لحظة غياب وعي منه وذُلت قدماه .**

**كان عصام شابٌ في ثلاثينات عمره الأولية وقد غادر منزله في الريف بعد ان اُقنع بأن العمل في المدينة اقل تعباً وأكثر ربحاً ، لكن تلك كانت خرافات واساطير من الخيال الُمقرن بالكذب ، واستمال عقله الي مجموعة من الشباب تُكلف بعمليات تساهم في مساعدة الاخرين وتأديب الُمذنب ، مقابل هذا مأكل ومشرب ومسكن وأيضا عملٌ يَنتفع به في حياته القاسية في المدينة ، لكن بدأت تلك العمليات في تخطي حواجز المساعدة واتجهت صوب عملياتٍ تساعد في تخريب البلاد وتهريب اسلحة ، ومن يخرج عنهم فالقتل مصيره لا محالة ، كانت لديه ابنة خالته هي من تحركه معهم ، فلقد كان يخاف عليها كثيرا ، يبعث لها نقودا تنفق منهم ماتشاء وتترك الباقي معها ، فحياة الريف اسهل من حياة المدينة المزعجة والمليئة بالمخاطر .**

**نظر في هاتفه المحمول فرفعه سريعا الي اذنه ، فأتي له صوت الرجل يعطي له معلومات عن مكان سيدة تسكن في عمارة بها عشر طوابق ، تُقتل المرأة اليوم والان ، ثم غُلق الخط .**

زفر عصام في الهواء ثم اخرج ورقات فئة الجنيهات ثم وضعها اسفل كوب الشاي وانصرف موقفا سيارة اجرة ليتجه الي العنوان الذي املاه عليه المتصل .

كان وجه عصام شاحبا بعض الشئ وكأن الدم لا يصل بشكل كاف ليغزي العقل والوجه فيتورد وينضج ، ساعة فضية في يده اليسري دائرية وقميص مثني الي كوعه ، ونظارة وجهه وشاربه طغوا قليلا علي ملامحه الشاحبة .

توقفت سيارة الاجرة امام العمارة ثم حاسب السائق ونزل من السيارة واتجه ناحية العمارة ، فقد كانت السيارات تغدو وتعود في حركة هوجاء غير منتظمة نظرا لعدم وجود فاصل بين السيارات المعاكسة ، والعمارة بدت وكأنها برج عالٍ فاشرئبت رأس عصام كي ينظر الي اخر طابق فيها ، نزل ببصره الي مدخل العمارة فوجد بواب يرتدي جلبابا بنياً وعمة بيضاء جالسا علي أريكة خشبية طغي عليها الزمن بطعناته التي لا ترحم انسان ولا جماد ، وبخطي حذرة من الطريق وعيون مترقبة اتجه صوب العمارة وتحدث مع البواب بخصوص شقة يريد ان يستأجرها ، لكن لم يفده البواب بشئ ، واستغرق بتصليح دّجة فاستغلها عصام ودخل الي العمارة سريعا .

البس عصام القفازات الخاصة له ثم اتجه ناحية المنظم الكهربائي للعمارة وقطع الاسلاك به مما ادي الي تعطيل المصعد الكهربائي وايضا الراديو بجانب البواب ، فاندهش قليلا ودخل ليري ما سبب عطل الكهرباء المفاجئ ، فإذا بيد تطوقه وتكمم فمه وأنفه بقوة ، تحرك بسرعة البواب في يد القابض عليه ولكن المخدر الموضوع في القماشة قد اصاب العقل بالشلل والعضلات استرخت فجأة ، ثم سحبه عصام الي الغرفة المجاورة للمصعد الكهربائي واغلق عليه الباب جيدا بالمفتاح ، ثم رمي المفتاح بعيدا .

ثم صعد بسرعة علي السلالم حتي وصل الي الطابق الرابع ، وقد تذكر رقم الشقة التي اعطاها له الرجل في الهاتف ثم اتجه ناحيته وبطريقة ما فتح باب الشقة محاولا فتحه ببطء شديد حتي لا يُفضح امره ، وجد صالة كبيرة بها ٤ غرف ووجد سيدة تقف في نهاية الصالة امام كومود صغير ، مشي ناحيته علي اطاف اصابعه ثم أحست المرأة

البدينة بشخص يجري نحوها ، فاستدارت رأسها وشهقت عندما وجدت ُملثم يجري ناحيتها ، وأخذت تصرخ لكن صوتها كُتم بقوة ، ثم اخرج عصام السكين ووضعها في قلب المرأة حتي استلقت أرضا وأصدرت شهيقا وزفير بصعوبة بالغة وهي تنظر بأعين جاحظة الي عيون عصام البائسة امامها حتي اخرجت النفس الاخير من رئتيها ، وزفر عصام في الهواء بعد ان تأكد من اتمام مهمته دون ان يشك فيه احدا .

ثم رفع هاتفه متحدثاً مع الشخص الذي كلفه بالمهمة وطمأنه قائلاً : لا تقلق ..

فالمهمة اكتملت بنجاح ياسيد رحيم .

# الفصل السابع

**٢٨ نوفمبر ٢٠٠٤**

**الساعة ٨:٠٠ صباحاً**

**تجمعت سيارات الشرطة حول مدخل العمارة الصغير حيث أتي لقسم الشرطة البلاغ من مجهول وتوجهت الحملة بقيادة المقدم رحيم ، نزل من سيارته وألقي نظرة علي الشارع بأكمله مُحدقاً النظر في وجوه المُتجمعين خلف الشريط الاصفر المُحاط بواجهة العمارة ، تظاهر رحيم ان الخبر لايعرف عنه اي شئ حتي لا يٌفضح أمره ، وقام بفحص الأبنية المجاورة لتلك العمارة بعينه قبل ان يلقي بنظره الي الضابط المجاور له قائلا : أين البواب ؟**

**اجابه الصابط : لا نعلم ياسيدي ، فليس هناك اي اثر له .**

**قطب رحيم حاجبيه في دهشة جاهد ان يخفيها ، وحول نظره الي مدخل العمارة ، ووقف امامها يتفحص كل شئ بها بعينيه ، كانت الضباط تدور حوله وتحيط بالعمارة ، ومنهم من وقف في الخارج ممسكاً بكلب بوليسي يلهث ، لم تتواري الشمس خلف السحب بل كانت حاضرة لهذا الحدث الجلل الذي حدث في منطقة هادئة ، صعد رحيم علي السلالم متجها الي الطابق الذي أملاه المبلغ لُمتلقي البلاغات بالقسم ، وصعد خلفه القوة العسكرية مُكونة من عدة ضباط وطبيب شرعّي في الخلف ، كان رحيم يدق قلبه بسرعة قوية ، فما بين اليقين بقتل المرأة لكن سيطر الشك في اتمامها بشكل صحيح ، نظرا لعدم وجود البواب ، او اختفاءه ، او ربما قتله عصام لانه كاد ان يَفضح سره وجريمته ، ازاح تلك الافكار مع صوت الحركة والجلبة في الخارج**

وقاوم ارتعاش انامله اليسري وهو يلمس الحائط حتي لا يختل توازنه بسبب انحدار سلالم العمارة ، حتي وصل الي الشقة فوجدها مفتوحة علي مصرعيها .

ازدادت دقات قلبه وانفرج أنفه محاولا استنشاق كم كبير من الاكسچين الذي يساعد علي تهدئة قلبه قليلا ، لكن لا جدوي ، فبعد ثلاث دقائق من تفتيش الحملة للشقة أتي الضباط له وقالوا انهم لم يعثروا علي أي جثة في الشقة ، فكان وقع كلمات الضباط امامه كفيلة بأن ينخلع قلبه من عظام رئته وتلقي به في المحيط ، احمر وجه رحيم وجحطت عيناه مما ادي الي ارباك الضباط امامه وطئطئوا رؤوسهم في احترام ممزوج بالخوف ، خطي الي الشقة ناظرا الي الدماء المتكومة في نهاية الصالة ثم لمح ان الدم مسحوب علي الارض ، اذن الجثة قد سيقت الي مكانٍ ما ، تحرك رحيم بدماغٍ ثقيلة وقدم يتحامل عليها ثُقل رأسه الي اخر قطرة دم للجثة المسحوبة ، لكن توقف الدم في بؤرة من المطبخ واختفي بعدها ، يبدو ان سارق الجثة قد نظف الجزء المتبقي من الدم ، لكنه لمح باب صغير بشرفتين علي الدلفتين فأدرك رحيم انه قد ساق الجثة الي مكان ما اسفل العمارة .

صرخ رحيم في رجاله وأمر مجموعة ان ينزلوا عبر هذا الباب ويبحثوا عن اي دليل ، اما الطبيب الشرعي فقد قام بمهمته من أخذ عينات من الدم ورفع البصمات وما الي ذالك ، واتي المصور كي يلتقط صورا لمسرح الجريمة ، اما رحيم فابتعد عن الشقة قليلا وخرج منها متحدثا في هاتفه مع عصام ، ظل رافعا هاتفه علي اذنه حتي أتي له الرد

قال رحيم : ايها الوغد ، اين اخفيت الجثة ؟

رد عصام : سيدي .. اني لم أخفِ شئ ، لقد تركتها مقتولة ونزلت ُمسرعاً .

جحظت عينا رحيم قائلا في عصبية مكتومة : إذن .. أين الجثة ؟ .

# الفصل الثامن

**٢٨ نوفمبر ٢٠٠٤**

**الساعة ٤:٠٠ فجراً**

**كان الشارع امام العمارة هادئاً في تلك الساعة ، قلة من المارة يترنحون من هواء عنيف يضرب واجهة البيوت والعمارات فيصدر اصواتاً مُرعبة ، ساهم كوب الليمون الذي تجرعه قبل نزوله في الحد من توتر اعصابه قليلاً ، دار حول العمارة فوجد جراج طويل وُصت علي جانبيه سيارات فاخرة ، وعواميد اضاءة علي الجوانب ، عاد ثانية حيث مدخل العمارة الصغير ، ونظر متفحصاً المدخل فلم يجد البواب فتهلل وجهه قليلا ثم دلف الي العمارة .**

**وجد المصعد الكهربائي مُعطل حيث انه لا توجد ايّ اضاءة في ازراره ، فتوجس قلبه عندما نظر من الاسفل للاعلي بقية الطوابق فلم يجد مصباحاً كهربائياً واحداً مضاء ، توقع ان الكهرباء قد انقطعت في تلك العمارة ، فاستدار وقد اضاء كشافاً فلمح اسلاك متساقطة علي الارض بجانب السلم ، عاد مرة اخري ونزل من السلم الي الاسلاك علي الارض ثم الي المنظم الُمقطَعة منه تلك الاسلاك ، ارتعش نبض قلبه وتوقف الدم عن الضخ للجسد ، ثبت عينيه علي المنظم وعلي الاسلاك ثم استدار منتفضاً الي السلم بخطوات سريعة ، كان المكان مظلما كلما ابتعد عن مدخل العمارة في الاسفل لكن اضاءة كشافه قد وضحت له السلالم فقط ، وصل الي الطابق الثاني ودار بكشافه علي الشقق الموجودة به ثم الي الطابق الثالث والي الرابع المنشود .**

**جال بكشافه في الطابق بحثاً عن اي شئ غريب لكنه لم يجد ، اقترب من الشقة التي كان بابها مفتوحاً ، بخطوات حذرة واصوات اصطدام الهواء بالخارج تقدم نحو الباب**

ودلف الي الشقة يحرك اضاءة كشافه في ارجاء الشقة ، يمشي علي الارض والحوائط وعلي ابواب الغرف المُغلقة والاضاءة تنير له جزء من الشقة بسيط حتي لمح تكوم جسد في نهاية الصالة ، دق قلبه بسرعة ومابين الفضول والخوف قرر المواجهة واتجه صوب الجسد المُلقي علي الارض ، اقترب وهو يحرك كشافه يميناً ويساراً في خوف مُدمج بالاصرار علي الإكمال في طريقه ، حتي وصل الي جسد المرأة البدينة ، ولمح دماء علي ردائها ثم جثي علي الجثة يتفحصها ، وعندما انتهي قام من مكانه وقد ظهر بعض الضوء الازرق الخافت في السماء ينير بعض الاجزاء في الشقة ، وضع الكشاف في جانب من الصالة بحيث يري مكان الجثة ، ثم قام بسحبها حتي وصل الي المطبخ فوجد الباب المؤدي للجراج في الاسفل ، دخل الي الغرفة الاولي ووجه اضاءة الكشاف علي اركانها لكن اغلقها ثانية ، وفتح الغرفة الثانية فوجد سرير عليه ملاءة بيضاء مزخرفة ، أخذها من فوق السرير ولف الجثة فيها محاولاً ان يخفي اي قطرة دم تسيل منها ، ثم رفعها علي كتفه ونزل بها عبر السلالم الي الجراج ، ثم أسند الجثة علي احدي السيارات وفي صوت العصافير المزقزقة داخل الجراج استطاعت ان تُخفي طقطقة باب السيارة التي فتحها بطريقته ، وحمل الجثة ووضعها في الكرسي الخلفي وجلس علي مقعد السائق وأدار محركها وخرج من الجراج متجها الي المكان الذي دائما يجتمع فيه مع سيد .

# الفصل التاسع

**٢٨ نوفمبر ٢٠٠٤**
**الساعة ١١:٠٠ ظهراً**

**كان محمودُ مجهداً بسبب هذا اليوم بالامس في حفل الميلاد لابنة صاحب المطعم الذي يعمل به ، واستقل بسيارة اجرة الي عمارة شقته ، فلمح من بعيد بعينيه المشوشة سيارات شرطة كثيرة وكمينٌ علي مدخل الشارع يتوسطه ضابطان يحققان في هوية الداخل والخارج من الشارع الحيوي ، اوقفه السائق بعيدا عن الكمين ثم اعطاه نقودا ونزل من السيارة وعيناه مثبتتان علي المنظر العام للشارع ، سيارات كثيرة من الشرطة والناسُ مجتمعة حول الشريط الاصفر المحاط بالمنطقة ليمنعوا به اي مقتحم لهذا المكان.**

**اقترب محمود وقد اعتلي وجهه الدهشة بأن تلك العمارة التي تجتمع حولها السيارات هي عمارة شقته ، اقترب اكثر وتحدث مع احد المحاطين بالمكان ، فسأله عن سبب تلك الضجة فقال له الرجل بأسي : لقد وجدوا جثة امرأة عجوز مقتولة في الطابق الرابع .**

**توقف الزمن للحظات هنا عندما سمع كلمات الرجل ، وعندما رأي رحيم ينزل من بابا العمارة سقط مغشّي عليه في الحال ، كان يعلم جيدا انه هو وامه السكان الوحيدين في هذا الطابق لهذا ؛ استنتج العقل ان امه قد ماتت .**

**تجمعت الناس حوله ومن ثم نقلوه في سيارة الاسعاف واتجهت به الي المستشفي ، ووقف رحيم ينظر لتجمع الناس حول السيارة فلمح وجه محمود ، فقرر ان يدير ظهره له حتي لا يراه .**

دخل محمود المشفي وفاق بعد غيبوبة طويلة استغرقت ساعتين علي ساعة الدكتور الُمشخص لحالته ، ونظراً لان القريب امه ففقد كان وحيداً فيها دون اي اصدقاء ولا اهل واقارب ، فقط الممرضة تدخل تنظر له اذا فاق تحاول التحدث معه واذا كان نائماً تغلق الباب بأسي وحزن علي حاله ، لكن في الاصل كان محمود يريد ان يهرب من العالم الظالم له ولقلبه الذي يتحمل الكثير ، بالاضافة الي توقف عقله عند سماع الخبر من الرجل فلقد كانت الصدمة حقاً .

بعد مرور ٣ ساعات علي محمود في المستشفي قرر الُمشخص لحالته ان يغض النظر عنه وأمر الممرضة ان تتركه دون الدخول له لان لا اقارب له ولا اهل يدفعون مصاريف جلوسه في المستشفي وتعليق المحاليل والاجهزة لاعادة وعيه مرة اخري ، هذا ان كان فاقداً الوعي من الاساس .

نزل محمود من المستشفي بعد ان شكر الممرضة التي كانت تتعاطف مع حالته البائسة لكن لا جدوي من مكوثه في المستشفي بدون دفع المصاريف اللازمة ، اتجه صوب شارعٌ بسيط تتكوم في نهايته قمامة يتصارع عليها اسراب الذباب ، ولم تكن الشمسَ ظالمة له ، فلقد تعاطفت معه ودفئته بأشعتها في تلك البرودة القارصة ، مشي بمحاذاة الشارع حتي وصل الي بيتٍ بسيط ، وغلبه النوم تحت السلالم لهذا البيت ، لم يكن يري سوي الظلم ، لم يذوق طعم العدل ، وعندما تضحك له السماء في يوِم وجد في المقابل رمادها الظالم يظلل هذا العدل ويبعده ، بل وينتصر عليه ، اذا كان البكاء يساعد علي ارجاع ما فُقد ، فاللعنة علي الضحك الذي لم يهتم بما بُ تر .

# الفصل العاشر

وقف سعيد بالسيارة الزرقاء في مكان مهجور يجتمع فيه مع سيد دوماً ، أبطأت سرعة السيارة عن بيت منفصل عن غيره ، توقفت السيارة ثم خرج منها و أنزل الجثة ببطء شديد وبحذرٍ من عينيه بعدم وجود اي احدٌ يتحرك في هذا المكان ، ربما أنهكته تلك العجوز المطعونة ، حملها إلى البيت حيث ينتطره سيد بالداخل ، على الجانبين من البيت ممر ضيق يتسع بالكاد لشخصين ويُطلّا على أرض كانت زراعية قبل أن يصيبها البوار .

اتجه ناحية البيت وهو ينظر يميناً ويساراً حاملاً الجثة علي كتفيه ، و سمع صوت قدمه وهي تضرب الأرض المبللة بماء المطر، شعر ببرودة الجو عندما اقتربت يده من يد العجوز ، ضغط على الجرس وبعدها بثوانٍ فتح له سيد وأدخله البيت ثم أغلق الباب خلفه .

" ضعها هنا"

أشار سيد لسعيد بوضع الجثة على سرير في غرفة من غرف البيت ، من ينظر له يظن ان هذا البيت عتيق للغاية لما يحمله من طرز معمارية قديمة ٣ غرف حُفرت ابوابها في جدران الصالة الواسعة ، ومنضدة دائرية خشبية يحيط بها ٤ كراسي خشبية ، رمي سعيد الجثة الملفوفة في ملاءة السرير وقد وضحت فيها بقع الدم أثر النزيف من طعنة في قلبها ، تأوه سعيد من حملها ثم جلس على كرسي في مواجهتها، نظر له سيد وقال :

"لقد تأخرنا يا سعيد"

"من فعل ذلك؟ " قالها سعيد وهو ينظر لها بتعب

نظر له سيد بشرود ثم نقل بصره الي الجثة وقال :

"يبدو أن رحيم لم يكتفي بجريمته الأولى مع محمود وأراد أن يقضي عليه بقتل أمه"

لِـم يفعل ذلك ؟"

أحضر سيد كرسي من الخارج وجلس في الجانب الآخر من السرير لتكون الجثة هي الفاصل بينهم، تراقصت الإضاءة قليلاً لتعلن عن هبوب رياح شديدة في الخارج، يُسمع صوت احتكاك الهواء وضربه لنافذة صغيرة في الغرفة

أردف سيد بعد وضع سيجارة في فمه واشعلها :

" والد محمود كان لديه أرض، وعندما تُوفي كان عُمر محمود لم يتجاوز العاشرة، وكان لديه أخت تُدعى (هالة)كانت تكبُر محمود بسبع سنوات، ذات يوم دخل رحيم على أمه وأخته في منزلهم في الريف، وطلب من والدته أن تمضي على ورقة تنازل عن الأرض لرحيم، وعندما رفضت وحاولت منع ذلك هددها ولم يكتفى بذلك بل ضربها حتى سقطت مغشياً عليها بين يديه، تركها ودخل إلى غرفة هالة وقام باغتصابها، حاولت الفتاة منع حدوث ذلك بكل قوتها، لكنّي أتوقع أن شهوته سيطرت على كل تفكيره، أعتقد أنه أصابه الجنون في تلك الليلة، وبطريقة لم يقُلها لي الجار المجاور لهم، أصبحت الأرض ملكاً لرحيم، وانتقل محمود من الريف إلى المدينة بحكم عمله وأتى بها (يشير برأسه على السيدة) إلى هنا حتى تبقى بجانبه. لكن الذي تأكدت منه أن رحيم معدوم الضمير ليدمر حياة محمود مرتين".

صمت خيّم على الغرفة، فإذا برياح عصفت بالنافذة وفُتحت فجأة، وانتفض معها سعيد وسيد .

قام سعيد بإغلاق النافذة ثم نظر إلى سيد

"إذن أنت متعاطف مع محمود، لِـمَ أرسلتني لقتل أمه؟"

نظر له سيد في حزن قائلاً :

" أنا فقط أتلقى الأوامر ياسعيد " .

طبيعة العمل الذي يتبعه سيد مع تلك العصابة الاجرامية هو عدم البّوح بأي حرف عن طبيعة العمل ، ومن المؤسف ان سيد قد طفح به الكيل وتفوه بكلمات تكفي لذبح رقبته وفصلها من مكانها .

نظر سيد الي الجثة وأمر سعيد بحملها والذهاب إلى المقابر خلف البيت حتى يدفنها، وبالفعل نفَّذ سعيد الأوامر وترك سيد وحيداً في البيت.

نظر سيد في الفراغ أمامه مُحدثا نفسه

"أنا آسف، لكن لا مفر من نطق الحجر ذات يوم ، أعلم أنني قلت ما عندي كله ، وأعلم أنني خُنت الأمانة، لكن إرادتي في الكلام فاقت كل شيء، اطمئن ، كل شيء سيكون على ما يرام" انهى سيد مجادلته مع نفسه واستعد للخروج إلى سعيد .

اغلق الباب خلفه وامشي عبر الممر الضيق بجانب البيت حتي اتسعت الرؤية الي مكان شاسع تقطن به بعض بيوت الاخرة ، ووقف سعيد في منطقة معينة وبدأ في طمس اثار الجريمة الكبري .

حفر سعيد حفرة لوضع الجثة فيها ورأى سيد يتقدم ناحيته، واصبح علي مقربة منه وعندما انتهي سعيد من الحفر أمره سيد بوضع الجثة في تلك الحفرة، ترك سعيد الفأس من يده وحمل الجثة ثم ألقاها في الحفرة، نظر له سيد واستدار خلفه متصنعاً ان يأتي بشئ من الارض كي لا يشك به سعيد حتى انتهى من وضع الجثة ثم أخرج سكينته وطعن بها سعيد وقال في اذنه :

" سامحني .. إن مهمتك لم تكن قد انتهت بعد .. لكن ذلك الكلام الذي قلته لك في الداخل ليس هُصرح لي أن أقوله .. وأنا لا أثق بك" .

ركله سيد حتى سقط في الحفرة على جثة العجوز، ثم انهال عليهم بالتراب.

عاد سيد بعد دفن سعيد والعجوز أم محمود وسار بخطًى متثاقلة إلى بيته الذي رآه من بعيد وكأنه عبارة عن مكعب قد رماه القدر بعيداً وعندما اقترب منه أشاح بنظره إلى تلك المقابر البعيدة ، تظهر رؤوسها فقط، بيوت صغيرة ليست مكعبة مثل تلك المنازل فهي تسع لأكثر من شخص بل وأكثر من عائلة، لكن تلك البيوت الصغيرة

هناك لا تسع إلا لفرد واحد فقط ، وقد قام بدفن اثنين في مقبرة واحدة، هل كان يعلم سعيد مصيره فلقد كانت الحفرة على اتساعهم، هز رأسه وقال :

"نعم، الأحياء يشعرون بالموت عندما يقترب".

استدار ناحية البيت مرة أخرى ثم دخله وأخذ ملاءة السرير التي كانت عليها العجوز الملطخة بالدماء ثم قام بحرقها ، نظر إلى الساعة وجدها اقتربت من الخامسة مساءً ، تلك العقارب التي تتحرك ببطء مثل دقات قلبه التي كادت أن تتوقف وقال :

"ستتوقفين الآن، غداً ، بعد الغد، لا يهم، لكن أرجو من الله أن يعطيك قوة الدق الكافية لحين أنتقم من رحيم هذا".

خرج سيد من البيت ومشي حتى وصل إلى الشارع الرئيسي وأشار إلى سيارة أجرة لتوصله إلى مكتب رحيم

"أظن أنه الآن في مسرح الجريمة، تلك التي فعلها بيده ويظن الناس أنه يدافع عن الحق وهو الباطل بعينه"

نظر إلى صورته في انعكاس مرآةالسيارة ليجد الانتقام ظاهراً في عينه

"أين كنت أيها الضمير لقد فات الأوان كثيراً ، هذا الرجل لا يرحم أحد، يريد فقط الانتقام، يريد الشهوة في سريان دم ضحاياه أمام عينه، لكن سعيد لم يعطِه الفرصة ليرى دم العجوز، أظن أنه يريد أن يعوض اشتياقه للدم بذبح بشريٍّ آخر أو ربما حيوان أو طائر، فهو مهووس بالدماء"

أتى صوت السائق : "هذا هو المكان سيدي"

أفاق من شروده الطويل ومجادلته مع نفسه التي لا تهدأ أبداً ليدس يده في جيبه ويُخرج نقوداً يعطيها للسائق ثم يفتح الباب ويخرج

دلف سيد إلى الطابق الذي يوجد به مكتب رحيم وأخبر الحارس بأنه يريد بعض الأشياء التي يحتاجها رحيم بخصوص الجريمة التي تم التبليغ عنها ، تردد الحارس قليلا لكن قُطع شكه باليقين عندما تذكر ان سيد هو صديق رحيم منذ القدم .
أشار له الحارس بالدخول وفتح له الباب، دخل سيد الي الغرفة ونظر إلى المكتب فوجد أوراقاً كثيرة عليه ، خطي خطواتٍ واسعة ثم جلس على كرسي رحيم بحث بعينه ويده في الاوراق امامه لكن لم يري اي شئ غريب ، انزل يده علي درج في جانب المكتب وفتحه فوجد بعض الاوراق متراصة فوق بعضها مرر اصابعه الغليظة بين تلك الاوراق حتي وجد ملف ُس في وسطهم ، اخرجه بملامح تحمل بصيصاً من الدهشة ، وقرأ ما ُكتب عليه في الخارج بخط أسود عريض (الجريمة الرابعة) .

نظر سيد إلى الملف جيداً وتمعن حروف كلمتي الجريمة الرابعة
"تُرى ما الذي ينوي فعله هذا الرجل، وأي جريمة رابعة يقصدها"، أغلق الدرج ثم هب مسرعاً إلى الخارج واستقل سيارة أجرة حتيوصل سيد إلى البيت ولمح سيارة سعيد الزرقاء موجودة ، أشاح بنظره بعيداً عنها كي لا يتألم لمقتل هذا المساعد الكبير، لكن هو يتلقى فقط الأوامر ويريد فك العقدة التي تدور ف عنقه بأسرع وقت، دخل إلى البيت ووضع الملف على المنضدة الدائرية ثم سحب كرسياَ وجلس أمام الملف، واضعا يده عليه وأمسك بورقته الأولى لكي يتصفحها ويرى ما بعدها، لتتثبت عينه على أول صفحة.

# الفصل الحادي عشر

## مسرح الجريمة

وقف رحيم في الشارع امام العمارة يتفحص مرة اخري التفاصيل الدقيقة التي تحيط بالعمارة ، ثم سمع صوت الضباط يهرولون مسرعين الي الداخل ، رمي سيجارته ، وهرول سريعا الي الداخل فوجد ضباطه قد فتحوا باب خشبي ضعيف ، وعندما اقترب منهم افسحوا له المجال في ان يتقدم ، رافعين ايديهم علي رأسهم في تحية عسكرية له ، اقترب اكثر من الحجرة فوجد رجل يلبس جلباباً وعِمة بيضاء جالساً علي اريكة في منتصفها ، فتثبتت اعين رحيم عليه ، وبعد لحظات قال ضابط بخشوع :

انه بواب العمارة سيدي ، سيساعدنا في التعرف علي القاتل .

زفر رحيم في قوة وهو ينظر حوله الي الضباط المحيطين به ، ثم هب مسرعا الي الخارج ، وهو يلعن ويَسب عصام في سره .

خرج رحيم من العمارة وقد تلبدت العيوم في السماء وتنذر بأن العواصف ستأتي الان واتجه رحيم إلى سيارته مسرعاً دون أن يتكلم مع أحد ، دار محركها وأصدرت السيارة صوت احتكاك العجلات بالأرض ثم اختفى تماماً عن أعين الضباط المندهشين من انصراف رحيم من مسرح الجريمة دون معاينته بالكامل .

# الفصل الثاني عشر

وصل رحيم إلى مكتبه وأعلم الحارس في الخارج أن يأتي له بفنجان قهوة سريعاً ، كاد عقله يُجن من عصام الذي ارتكب الجريمة بأخطاء فادحةتركت له أثراً وتركت لرحيم شكوك من حوله فيه ، او ربما لم يفعل عصام اي شئ من هذا وان احد ما قام بسرقة الجثة و السبب وراء اغماء البواب. زفر بقوة في الهواء رافعاً عينه لاعلي متثبتة في السقف الابيض ، وبعض الشقوق التي تجتاح بقعة معينة منه فاق من شروده بصوت أحد يطرق على الباب من الخارج وسمح له بالدخول ووضع فنجان القهوة أمامه ثم خرج الحارس، كانت الإضاءة خافتة في المكتب فساعدت على استعادة وعيه مرة أخرى، ارتشف القهوة في تلذذ من طعمها، لا يعلم من أين يأتي هذا التلذذ بقهوة سادة مريرة المذاق، يرى فيها عمره المرير الذي قضاه مُشرداً عن الراحة والرفاهية، عمراً أفناه بين القتل والتعذيب، بين حياة بائسة لا يرى فيها إلا أوجاع وذل وبين موت محتوم ، أطلق ابتسامة خفيفة للقهوة

"لقد كنت أحتاج لكِ منذ زمن بعيد جداً ، وهاالآن أنتِ معي وفي يدي " .

شرد رحيم قليلا يفكر في القضية ويستنشق دخان سيجارته ، جاء رنين هاتف مكتبه ليطيح برأسه في الهواء ويضعها مرة أخرى في مكانها، كان صوته مزعجاً جداً ، رفع سماعته وهو يسب ويلعن في سره المُتصل

"سيدي، لقد وجدنا جراج خلفي للعمارة، يبدو أن الجثة اختفت من هذا المكان، ولدينا أيضاً كاميرات المراقبة ورأيناها مع شخص ركب سيارة زرقاء اللون ثم خرج منه وفى داخل السيارة الجثة"، ظهرت ملامح الجدية على وجه رحيم

قال متحفزاً : "جيد جداً ، أين تلك السيارة الآن؟ "

"مالك السيارة يقول إن بها جهاز تتبع قوي وحديث، سوف نتتبع موقعها ونبلغ سيادتك"، أغلق رحيم الهاتف وهبَّ مستعداً ليخرج من مكتبه وينتظر مكالمة الضابط بمكان السيارة.

انتظر رحيم قليلا ريثما شرب قهوته واطفأ سيجارته حتي اتي رنين الهاتف مرة اخري فرفعه بسرعة وبحماس انصت الي الُمتكلم ، وتبدلت ملامح وجهه فجأة وقال بصوت مسموع بعد ان ترك السماعة من يده " سيد !! "

# الفصل الثالث عشر

" استيقظ يامحمود"

أتاه ذلك الصوت من بعيد، ظن أنه حلم وظن أنه صاحب العمارة يريد أن يطرده خارجاً منها، فتح عينه بتثاقل شديد، وعندما وضحت الرؤيا له قطب حاجبيه "عصام!!"

"لقد أتت الأوامر بالاجتماع في بيت سيد الآن"

زفر محمود بقوة

"لقد تُوفيت أمي بسبب تلك الأوامر، اللعنة عليهم جميعاً" أسنده عصام وخرج الاثنان إلى الشارع وركبا سيارة انتظرتهم في الخارج وذهبوا إلى بيت سيد .

'لم أعلم أنها أمه، لو كنت أعرفها لما قتلتها أبداً ، لقد أتت الأوامر بقتلها فقط لا اعلم لماذا، كان محمود من أخلص الناس لهذا الرجل الذي لا يعرف أحدٌ عنه شيئاً ، لم يجادل في أي شيء طُلب منه، آهٍ يا محمود لو تعرف أنني قمت بقتل أمك لكنت قتلتني في الحال"

كان عصام يُجادل نفسه كثيراً بعد أن رأى بؤس محمود في عينه داخل السيارة بجانبه "مسكين يا محمود" قالها بحزن بالغ على حاله .

"لقد دُمِّرت عائلته وقُتل قلبه بدم بارد"

أطلق ابتسامة مكتومة بسخرية

"لا أعلم إذا كان معنا في تلك الدنيا أم رحل عنها وهذا جسده فقط، اللعنة عليكم جميعاً أيها الأوغاد".

نزل عصام من السيارة فوجد محمود لا يتحرك رغم توقف السيارة وخروج عصام منها ، انتفض قلبه لمنظره فلقد انحنى على الكرسي بهزةٍ واحدة من عصام، كان مثل الأموات

بل هو فعلاً ميت، حمله السائق وعصام إلى بيت سيد وطرقوا الباب بقوةٍ حتى أتى فْتحه بعد ثوانٍ محدودة، تركهم السائق وذهب إلى سيارته ودخل عصام ومحمود إلى سيد في بيته .

ألقى سيد على وجه محمود قليلاً من الماء حتى فتح عينه بتعبٍ شديد، أحس محمود أن هناك ثقل على جفونه، لم يكن قادراً على فتحها بشكل مناسب، لكن صورة رجل غريب يقف أمامه جعلته يفتحهم بقوةٍ جاهداً في ألا يظهر التعب عليه، جلس الثلاثة على كراسي رصها سيد أمام مكتب جلس خلفه رجل بدين، ظهرت بدانته رغم إعطائه ظهره لهم، لم يشاهدوا وجهه، كانت غرفة المكتب واسعة بها مكتبة كبرى في اليسار ونافذة صغيرة خلف المكتب، الإضاءة لم تكن قوية لكن محمود رآها شمسٌ تسطع في داخل غرفةٍ مظلمة تماماً مثل قلبه.

جاء صوته في أذن الثلاثة مثل جرس الكنيسة، يأتي من أعماقه الدفينة بداخله "الأوامر مثل طلقات رصاص، لا تهاون في إصدارها، ومن يجادل فيها أو يعارض يتحمل عواقب ذلك، لقد أُصدرت الأوامر بقتل أمك يا محمود لأنك انتقلت من مكان إلى آخر دون علمي، أقل فعل يا محمود ستجد أقوى رد فعل له، عندما توفيت أختك وسُرقت منك الأرض أنا تكفلت بكل شيء لك، كنت على وشك التشرد أنت وأمك لولاي، وأنت الآن تخون ذلك المعروف"

سكت قليلاً وخيم صمتٌ رهيبٌ معه صريخ السماء بالخارج لتُعيد أجراس الكنيسة دقها مرة أخرى

"رحيم سيأتي الآن إلى هنا يا سيد، اكتشف الأمر أن جثة أم محمود كانت هنا وتتبَّع السيارة التي في الخارج، كن على حذر يا سيد ومستعداً لمواجهةٍ شرسة بينك وبينه ".

كان محمود مستمعاً لكلام ذلك الرجل ، تذكَّر الأموال التي أتت من شخص غريب وقال أنه فاعل خير له ولأمه وأعطاه الأموال ثم انصرف، تذكَّر بواب العمارة الذي وافق على الفور على تأجير الشقة لمحمود، تذكَّر العمل الذي نجح به وأصبح مصدر

رزقٍ له ، هل كان كله مخطط ضده أم معه، لا يعلم، كان في أشد ارتباكه لأن رحيم سيأتي الآن وستكون المواجهة الكبرى بينه وبين سيد

"عصام قتل أمي!!، يالهامن لعبة لعينة، أين هي جثتها إذاً؟". سأل محمود بصوت شجين يصعب على أحد تمييزه عن صوت ناي حزين، ردَّ عليه سيد قائلاً

"في مقابر خلف البيت"

هز محمود رأسهُ معلناً الاستسلام لقلبٍ مات وعينٍ باتت باهتةً ووجهٍ صعدت فرحته إلى السماء قبل روحه .

# الفصل الرابع عشر

أخذ رحيم مواصفات المنزل الذي تقف عنده السيارة المسروقة ، ثم نزل مُسرعا الي سيارته وقادها حيث البيت .

أوقف رحيم سيارته خلف سيارة زرقاء وعينه تتفحص وتتمشي علي طول الشارع ، نزل من السيارة بسرعة واتجه ناحية السيارة الزرقاء فوجد على الكرسي الخلفي لها دماء، وأيضاً على الباب الخلفي للسيارة، اندهش رحيم لتلك السيارة والعلامات التي بها ولعن سيد في سره، كانت ملامحه جامدة مثل أسدٍ يُموه للانقضاض على فريسته، مر بعينه على البيوت أمامه فوجد بيتا منفصلاً ، أحس بأن عقله يخبره أن الجريمة هنا في هذا البيت ، بخطًى حذرة جداً مشي إلى البيت، لمح ممر ضيق ، في نهايته رأى على بعدِ مئة متر رؤوس مقابر، دخل مظلة كانت موجودة أعلى باب البيت الخارجي وطرق الباب في ثقل شديد وكأن طرقه يمثل طرق قلبه الذي ينتفض من مكانه مع كل دقة، ينتظر تلك المواجهة مع هذا الخائن اللعين، سمع صوت أقدام تقترب من الباب من الداخل وكلما اقتربت كلما زادت دقات قلبه أكثر ، شعر بجفاف فمه من المياه، جيش عرق يمر في خط واحد رفيع على وجهه رغم البرودة حوله، يأتي صوت دوران مزلاج الباب مثل تحرك ضلوع صدره بسبب نبضات قلبه القوية، عينه كانت مثبتةً على الباب حتى وجد سيد أمامه .

***

"هنا يا محمود، والدتك مدفونة هنا"

أشار له عصام بين قبور كثيرة على قبر أمه الذي حفره سعيد من قبل بعد أن أعطاه سيد قبل أن يخرج ؛ مواصفات هذا القبر، نظر عصام إلى محمود مدة طويلة، وجد

ملامح طغت عليها سنوات صعبة وتأمل أعين محمود وهي تلتهم القبر بشغفٍ باحثاً عن وجه أمه فيه، سمع تنهيدته القوية وانفطر معها قلب عصام وكادت أن تدمع عينه فأشاح بوجهه بعيداً عن محمود ومشي عدة خطوات حتى ابتعد عنه وتركه وحيداً بجانب قبر أمه.

أخرج محمود من جيبه ورقةً وقلماً وجلس بجانب القبر ثم أسند ظهره على رأسه الحجري لم يكن مكتوباً على الحجر اسم أمه، هنا لا يعرفون الأسماء ولا يهتمون بهوية الأشخاص، فقط الانتقام هو من يسيطر عليهم، مسك القلم بيدٍ مرتعشةً ثم بدأ يكتب

"لم أكن أعلم أنها النهاية، لحظةُ تخلَى عني مَن ساعدني، لحظة ذُقت فيها المر وأنا أرى أرض والدي تضيع، لحظة جُرح فيها قلبي عندما رأيت أختي وأهلي وعائلتي تتفرق وتتمزق أوصالهم أمامي دون أن أدافع عنهم، رأيتك يا أمي كنجمةٍ ساطعة أمامي ووجدت هالةً كالمصباح ينير لي حياتي، لم أكن أدرك أن الثمن غاليٍ وسيتركني الجميع هكذا وحيداً ، بل من ساعدوني يحاولون التخلص مني، قتلوكِ بدمٍ بارد، ولكنَّ دمك مازال حاراً في قلبي وأشم رائحته بين ذرات هذا التراب اللعين الذي يَحوُّل بيني وبينِك. أشعر بهالة وهي تتألم بسببي لعدم أخذ حقها، أعلم كل هذا، وأشعر به رغم عليل القلب وجفاف العين، لكن سأنتقم يوماً ما لكم، ولوالدي الذي وقف في وجه التيار من أجلنا، انتقامي سيكون أشد .....".

وجرى سريعاً ناحية البيت الذي يوجد به سيد وعينه تنطلق منها الشرر وكادت أن تحرق كل شيء حولها.

***

نظر رحيم إلى سيد الواقف أمامه في ثبات، كانت لغة عيونهم سِباباً للآخر، اقترب رحيم من سيد أكثر حتى أصبحت وجوههم قريبةً جداً ، نظروا في أعين بعضهم، والشر يتراقص من حولهم، أشاح رحيم بوجهه إلى الداخل ثم مشى خطواتٍ قليلة حتى أصبح

داخل حلبة نارٍ أشعلها شيطان خبيث يقف على سكينة موجودة على منضدة خشبية في منتصف الصالة الواسعة.

ألقى رحيم نظرة طويلة على هذا الخبيث الذي يلعب معهم بكرةٍ من لهب، جلس رحيم أمامه وانتظر حتى قدوم سيد بعد أن أغلق الباب وجلسا في مواجهة بعضهما ليعلن ذلك الشيطان الذي بدأ المعركة الآن، وبخبثٍ منه تحكم في عيونهم ورأى شياطين حوله تشاركه تلك اللحظة السعيدة التي سوف تُفسد فيها كل الأوصال بين الطرفين، ليُعلن رحيم الحرب على سيد الذي وثق فيه منذ سنوات عدة.

كانت الشياطين تُحرك يميناً ويساراً مصباح صغير مُعلقاً في الأعلى والإضاءة تخفت فجأة لتعود قويةً فجأةً ثم تخفت ثانيةً وتعود أخرى وأخفتت ثالثاً، لكن لم تعد قويةً تلك المرة.

بدأ رحيم في التحدث وقد أشعل سيجارة ونفث هواءها أمام سيد قائلاً :

"طوال الفترة الماضية وأنا أثق بك، لقد اعتمدت عليك وجعلتك من المقربين لي، حزين لأني لم اكتشف أمرك بنفسي فلقد اكتشفه غيري وتم تبليغي به".

ظل سيد ناظراً إلى رحيم وسيجارته المهزوزة في يده نتيجة ارتعاش يده قليلاً، رفعها إلى فمه ثم سحب منها إلى صدره وأردف رحيم :

'لكني أملك ما يجعلك خاضعاً أمامي"

ظهرت ملامح الانتباه قليلاً على سيد طالباً منه أن يُكمل حديثه، سحب جرعة بسيطة من المسكينة التي تتلوى في فمه، ثم نظر إلى سيد نظرة طويلة، عادت الإضاءة إلى قوتها مرة أخرى ومعها أتى صوت رحيم المزعج

"معي ملف يجعل منك حشرة لا تساوي شيئاً"

ليبتسم سيد له، وتضرب تلك الابتسامة شر رحيم لتقتله .

قام سيد من مكانه وقد اطمأن قليلاً لأنه كسب المعركة لصالحه، لأن رحيم ظن أن الملف ما زال في مكتبه وهو لا يعرف أنه سرقه ووضعه في البيت هنا، مشى بخطوات ثابتة حتى وصل إلى الغرفة التي يوجد بها الملف، أدار مزلاج الباب وفتحه فوجد الرجل الغريب ما زال جالساً على الكرسي خلف مكتب صغير، ويعطي له ظهره، قام رحيم ليقترب من الغرفة ويطْلع على هذا الشخص لكن جاء صوته ليتسمر رحيم مكانه

"قف مكانك يا رحيم"

تساءَل في سرِّه

"كيف عرف اسمي هذا الرجل هل يعرفني أم ماذا!؟ "

اتجه سيد إلى دولاب صغير في الركن من الغرفة المظلمة، فتحه وأخرج ملفاً منه، وبمجرد وقوع عين رحيم عليه عرفه بسرعة ليندهش وتقف اللعنات على شفتيه التي ستتوجه إلى سيد بعد قليل، وضع سيد الملف على مكتب الرجل ثم جلس على كرسي أمام المكتب وظل ينظر إلى رحيم وإلى عيونه المثبتة على الملف

"أحسنت صنعاً يا رحيم، لقد قمت بتضليل الجميع، من يفهمك ويفهم تصرفاتك سينخدع فيك أكثر، لست سهلاً أبداً"

رحيم مازال ناظراً إلى الملف الموجود على المكتب ويتأمل ما كتبه من قبل –الجريمة الرابعة–وكأن الرجل لم يتكلم، فلقد فاقت نسبة اندهاشه بسيد ودهائه في حصار رحيم ووضعه في فخه العنان .

# الفصل الخامس عشر

كان بواب العمارة له يدٌ في كشف سرٍ أخفاه رحيم ثلاثة عشر سنة على جميع الضباط، عندما فاق من غيبوبة في مستشفى القسم وأدلى بأقواله في قضية قتل سيدة عجوز في الطابق الرابع واختفاء الجثة، اندهش ضابط مسؤول عن التحقيق عندما وصف البواب رجل اقتحم العمارة وقطع بها الكهرباء، من خلال الوصف اكتشف الضابط أنه عصام ذلك الرجل الذي تردد كثيراً على قسم الشرطة الأيام الماضية لمقابلة رحيم في مكتبه

إذاً كانوا يُرتبون لتلك الجريمة ولا أحد يعلم ذلك" قالها ضابط في غرفة التحقيق مع البواب.

اجتاح الغضب المحقق وهز قدمه في عصبيةٍ بالغة ، ونفث سيجارته في تلك الغرفة الصغيرة الخاصة بالتحقيقات الجنائية .

ثم استصدر أمراً بتفتيش مكتب رحيم والقاء القبض عليه في اسرع وقت ، و دخل الضباط دفعة واحدة إلى مكتب رحيم، كانوا يظنون أنه جالس يداعب أنفه كالعادة، لكن لم يجدوه، زفر ضابط في الهواء معلناً اليأس من ذلك الرجل الخبيث الذي تلاعب بعقول الجميع لينتقم من ثأرٍ قديم بينه وبين شاب مسكين

"ابحثوا عن أي دليل يقودنا لهذا الرجل"

قالها ضابطٌ مسؤول عن تلك الحملة ليخرج من الباب ويترك الضباط في الداخل ينفذون أوامره.

جلس ضابطٌ على كرسي المكتب ثم فتح الدرج الأول فوجد صورة سيدةٍ عجوز ومعها بنت وولد ظنَّ الضابط أنهم عائلة، وضعها أمامه على سطح المكتب وأكمل البحث حتى وصل إلى درج وجد فيه مخطط، عبارة عن دائرة كبرى في منتصف الورقة وتخرج من تلكالدائرة عدة أسهم في جميع الاتجاهات، لم يجد شيئاً واحداً مكتوب، قَلَب

الضابط الورقة على ظهرها لم يجد بها شيئاً أيضاً ، حرّكها على سطح المكتب الزجاجي امامه ثم أشاح بوجهه بعيداً عنها لكنَّ شيئاً ما لفت انتباهه، قرب وجهه من تلك الصورة المعكوسة علي السطح فوجد ا نعكاسُ رقم ٤ علي سطحه ، ثم نادى على الضابط في الخارج ليُطلعه على تلك الورقة ليندهش الضابط ويقف مقطب حاجبيه في عدم فهم .

خرج الضابط ماسكاً بالورقة في يده إلى مأمور القسم بخطواتٍ واسعة ليأخذ الإذن باقتحام بيت سيد، وبالفعل أخذ الأمر بتفتيش بيت سيد والقبض عليه لاستجوابه فيما نُسب إليه، عاد الضابط مرةً أخرى إلى المكتب فسمع ضابطاً يقول :

"تلك الورقة وقعت من ملف كبير يوجد في المكتب هنا" فتوقف الضابط فجأة لتلك الكلمات.

دخل الضابط مكتب رحيم بعد سماعه أن تلك الورقة قد تكون من ضمن ملف كبير، أصدر أوامره لفرقة البحث أن تقوم بعمل تفتيش للمكتب حتى تجد هذا الملف، وبعد مدة لا بأس بها أتى صوت قائد الفرقة بفشل العملية فلم يكن هناك ملف في المكتب ويبدو أن هذا الملف إما نُقِل أو سُرِق من هنا، ظل واقفاً يبحث عن أي شيء يدله على مكان هذا الملف، تذكر مالك السيارة الزرقاء التي سُرقت سيارته بواسطة مجهول وعندما تتبعوا مكان السيارة عن طريق برنامج (GPS) وجدوا أن السيارة تقف عند بيت سيد الذي يعتمد عليه رحيم في كل جرائمه، أمر الحملة بالسير خلفه سريعاً تاركين ما بيدهم وأغلق آخر ضابط الباب خلفه ليسيروا جميعاً وسط دهشة الجميع في القسم من تلك التحرك المفاجئ لتلك الحملة، وأصيب البعض بضربات في أذرعهم بسبب سرعة حركة الضباط واتجهوا الي الطابق الاول ثم الي خارج القسم .

# الفصل السادس عشر

صوت قرع الباب أصاب ذهن سيد وكأنه طلقةٍ نارية، كانا يجلسان في مواجهة بعضهم في نظرات تخترق الأجساد ، لم يتفوه أحدٌ منهم واندهش رحيم فجأة لهذا الصوت الذي كان مثل قرع طبول الحرب، بخطواتٍ سريعة قام سيد وخلفه رحيم ليفتحا الباب، ليجدا أمامهما محمود وبجانبه جثة عصام مهشمة الرأس بطريقة بشعة، وينظر لهم محمود في شرٍ كتمه لسنوات عديدة .

دخل محمود يجر جثة عصام وراءه إلى بيت سيد في وسط دهشة الجميع مما فعله ذلك الشاب، رمى الجثة في منتصف الصالة ثم جلس وظل سيد ورحيم ناظرين له في دهشة بالغة، نظروا إلى الجثة تارة ونظروا إلى محمود وهيئته المزرية تارة أخرى، لكن تبدلت فجأة ملامح محمود من الضعف إلى القوة، شعر رحيم بقشعريرة في بدنه عندما أحس بمصيره المحتوم من ذلك الغضب الذي يشع من أعين محمود، كان سيد لا يتحرك، هواجسٌ وأصواتٌ في أذنه لا يعرف من أين تأتي، ربما تأتي من جثة عصام مهشمة الرأس يقول لنا اهربوا الآن فانتقام محمود سيكون أشد انتقاماً وسيفتك بالجميع في لحظة واحدة .

نظر لهم محمود وهو جالس فنظر رحيم لسيد ثم أغلقوا الباب ودخلوا ليجلسوا على كراسي في وسط الصالة الكبرى، وتغاضى سيد النظر إلى الجثة فكان يصيبه دوار شديد من النظر لها بتلك الهيئة الفظيعة، جلسا في حذر شديد أمام محمود الذي شبك يديه ببعضهم، ملابسه ملطخة بدماء كثيرة ووجهه أيضا تناثرت عليه بعض قطرات الدماء، ثوانٍ قليلة مرت كالسنين على سيد ورحيم اللذان ظلّا ينظران لمحمود والانتقام جلْياً على وجهه، أحسَّا أن نقاط الدماء على وجهه هي القوة والانتقام الذي سيقوم به الآن، جاء صوت محمود بصوت أجش فزِع له قلب سيد ورحيم "أيها الأوغاد"، قالها وهو ناظٌر لهم في احتقار وكأنه اشتم رائحةً كريهة. أحس سيد بيده لا

تتحرك، لا يقدر على فتح عينه أكثر من ذلك، شعر وكأن انتقام محمود قادم على سرعة فائقة، لم يظن في يوم أنه سينتقم بذلك الشكل.

ظل رحيم ناظراً لمحمود الذي ينظر له تارة وينظر إلى سيد تارة أخرى، فجأة سمعوا صوت هبوب رياح قوية في الخارج بالتحديد عند المقابر خلف البيت، فزع لها سيد ورحيم لكن محمود ظل ناظراً لهم دون تغير في ملامحه الجامدة جاحظ العينين لا يرى سوى رقاب تريد أن تُقطع كي ينتقم منهم.

"انتقامي لن يكون انتقاماً عادياً، كتمته في قلبي أيام وسنين، انتقامي من عمٍ أراد أن يتخلص مني واغتصب أختي وأرضي، عمٍ أراد دماء العائلة الكثيفة تسيل أمامه دون توقف".

أراد رحيم وقتها أن تطبق السماء على الأرض، كانت كلماته سهام سامة أصابت قلب رحيم، جاءه صوت محمود مرة أخرى

"ظلمك من سماك رحيم"

ومعها تصعد رياح كثيفة تفتح نافذة كبرى تطل على المقابر، ليفزع سيد وهو جالس فتتحرك المنضدة الجالسين عليها نتيجة اصطدام قدمه بها، بينما كان رحيم جالساً يرى مشهد تسبب في خلع قلبه من مكانه في لحظة.

نظر محمود إلى سيد الذي كان ينظر إلى المقابر من النافذة، وأيضاً رحيم شاركه في النظر إليها، كانت الرياح في دوامة كبرى كالإعصار على قبر موجود في وسط المقابر، عرف سيد أن تلك العاصفة الرملية هي على قبر أم محمود، تساؤلات عديدة في ذهن رحيم أطاحت به فجأة وبدأت تنسال مثل دماء ضحاياه أمامه، نظر سيد ورحيم معاً إلى كرسي محمود لكن لم يجدوه أمامهم.

***

إذا كان الانتقام هو الحل وصعود الروح أمام المنتقم هو الحل وزخ السماء بمطر الانتقام هو الحل، إذاً لماذا لا ينتقم المظلوم ويأخذ حقه. لكن التضليل هو الشيء الوحيد المسيطر على الانتقام: لا معنى للعفو، لا فائدة من الصلح، لا ضرورة للإخلاص، لا يعطي الانتقام القوة الكافية له كي يتحقق، فقط أنت تسيطر وتقوي نفوذك على حساب بشر، أنت عليل بقوتك، القوة ضد الانتقام تُولد ضعف، لابد من تفعيل خاصية العقل قبل أن يفوت الأوان ويكون التضليل هو سبب الضعف.

***

التفت سيد ورحيم حولهم باحثين عن محمود بعيون حذرة ورؤوس تتحرك بسرعة شديدة، كانت الرياح تقترب من البيت، لكنهم لمحوا محمود يجري ناحية تلك المقابر، هبوا مسرعين إلى الباب وأدار سيد المزلاج حتى أعلنت أقفاله عن الفتح، وفعلاً فتح الباب ذراعيه إلى ريح شديدة في الخارج أدت إلى دخول ذرات رمال في أعين الاثنين وهما واقفين على الباب، فركوا أعينهم بقوة ثم اتجه رحيم وراء سيد الذي سبقه إلى المقابر وراء البيت، رأوا أن دوامة الرياح تدور أسرع مما كانت عليه ويقف محمود بالقرب من قبر أمه الذي يعرفه سيد جيداً.

اقترب سيد ورحيم بخطواتٍ بطيئة كادت الريح أن تسرعها لكن القلق هو من سيطر على سرعة خطاهم من محمود، وجدوه واقفاً وقد أعطى ظهره لهم، كان ماسكاً بأربع حجرات في يده ثم استدار فجأة بعين جاحظة جعلت الرعب يهجم على سيد ورحيم قبل أن يهجم محمود عليهم، ظل واقفاً محمود بدون حراك جاحظ العينين رغم سرعة الرياح التي تنقل الرمال بسرعة هوجاء وتصيب عين رحيم وسيد ويفركوا عينهم بسرعة كي لا يختفي محمود من أمامهم.

اقترب محمود منهم وقد شعر سيد بدوران كل ما حوله من عين محمود الحمراء، كان الشر يتطاير أمامه مثل سرب طيور يسير في اتجاهات كثيرة معاكسة، خبتت الريح

فجأة على القبر فلمح رحيم سيدة عجوز واقفة فوق قبر، كان شكلها مخيفاً من بعيد وشعرها أسود داكناً منسدل على وجهها. ظل رحيم ناظراً لها ومحمود يقترب منهم، هاجت الريح مرة أخرى فوضع رحيم وسيد أيديهما على أعينهما وكأنهم يصدون ذرات الرمال ويحاولون منع دخولها إلى أعينهم لكنهم فشلوا في ذلك، فركوا أعينهم بقوة وظل سيد ناظراً إلى محمود بحذر وتوقع أنه سيفتك برأسه مثل ما فعل مع عصام. نظر رحيم إلى السيدة لم يجدها، ومعها انطلقت صرخة فزع لها قلبي سيد ورحيم ليقفوا متصلبين دون حراك نهائياً، ناظرين بأعين جاحظة إلى محمود وشره الذي يأتي معه، أصبح محمود على مقربة منهم ورفع يده وبها الأربعة أحجار ليضرب بها وجه سيد في قوة جبارة جعلت سيد يرجع بضع خطوات قليلة ويضع يده على وجهه من أثر الضربة، ومحمود يصرخ في جنون بالأحجار التي كانت معه، فسقط سيد من كثرة الضربات على رأسه وأصبح فريسة سهلة لمحمود في دفن وجهه في التراب، كان سيد يتحرك بسرعة فائقة ووجهه مدسوس في التراب كي يتخلص من قبضة محمود على رأسه، كان مثل الذبيحة التي تتحرك بسرعة أثناء انفصال اوتار وعروق الرقبة عن بعضها، ثم خبت حركته فجأةً أعلنا انقطاع الأنفاس، ثم استدار محمود في حركة آلية وكأن أحداً ما يوجهه بريموت ثم رفع يده وبها الأحجار وبقوة أشد نزل بها على وجه رحيم الذي سقط في الحال.

نظر محمود إلى رحيم الذي كان على الأرض لم يتحرك، ذهب له محمود وهو يبتسم من شره الذي أعانه على تلك المهمة في الانتقام، سحبه من قدمه حتى اقترب من جسد سيد أمام قبر أمه، ثم انهالت ضربات محمود على وجه رحيم. تذكر أخته وهي راقدة أمامه على سرير ملطخ بالدماء في الضربة الأولى، تذكر صريخ رحيم في وجه أمه في الضربة الثانية، تذكر دماء أمه في الشقة بالضربة الثالثة، وآخر ضربة أتت لتنهي حياة رحيم للأبد وهي الانتقام.

قام محمود من على جسد رحيم وقد امتلأ كل من حوله بالدماء، نظر إلى السماء بابتسامة وكأنها كانت تشاركه هذا الانتقام، رفع يده إلى الأعلى ورمى بالأربعة حجرات على قبر أمه، ثم أنزل يده مرة أخرى ليأتيه صوت مألوف له يقول له

"محمود .. محمود .. استيقظ"

قام بفتح عينيه وكان قلبه يخفق سريعاً من هذا الحلم، وجد أمامه عصام الذي تركه مع قبر أمه منذ قليل، فأمسك بالورقة التي كتب بها كلماته قبل الحلم ثم أكمل

"انتقامي سيكون أشد لكنه في أحلامي"

ليقوم من مكانه وهو ناظٌر إلى قبر أمه في حسرة وأسى.

***

عندما يغيب العقل عن التفكير يسيطر عليك الانتقام بكل جوارحه، يجعل منك صقر يرى فيل ضخم كحشرة تتطاير حولك، فالانتقام أثناء جوعه لا يرى أحجام فقط يرى دماء من ينتقم منه، يريك أن الانتقام هو الحل، لكن إذا فكرت مرة أخرى تجد أن الاستسلام هو حل لحياة أخرى تنتظر فيها عدالة السماء.

***

نظر عصام لمحمود وهو غير واعٍ بما يحدث حوله، تأمل ملامحه البائسة، لقد طغى على عمره ضِعف أعمار البشر جميعاً الذين ماتوا بائسين من الحياة، كان محمود ينظر إلى الفراغ ثم يلتفت إلى القبر ويعود ينظر إلى الفراغ مرة أخرى وكأنه يحدثه عن قلبه الدامي

" لَم قتلتها يا عصام؟"، أتى صوته رخيما

ً لينهدش عصام من سؤاله وينتظر قليلاً ثم يجيبه، "أنت تعلم الأوامر يا محمود لا رد فيها" .

نظر له محمود وثبت عينه على عين عصام فارتبك الأخير وقال

"لا تلُمني يا محمود، فأنا أريد أن أحيا حياتي غير المستقرة إلى الآن"

هز محمود رأسه معبراً عن يأسه مرة أخرى من كلام عصام، كان الحزن يظهر على وجهه مثل لافتة سوداء بها قطرات دم حمراء، رفع وجهه إلى السماء يريد عدالتها لكن لم تأتِ، أطلق تنهيدة قوية ثم أنزل رأسه مرة أخرى في حسرة على حاله .

نقاط الضعف أحياناً تكون قوة لصاحبها عندما يعمل عقله وتفكيره في جعل منها الأقوى له، إذا استسلمت البشرية لحصار دائم، إذا ذهبت الأوطان إلى دجالين بحثاً عن تمائم، إذا خرجت الأرامل والعجائز يبحثون عن وطن، لا يجدون إلا مكاناً زائلاً فاعلم أنها النهاية ستأتي شئت أم أبيت، تأتي النهاية إذا أدركك الموت، يأتي الموت إذا أدركتك الشياطين في عالمها، تأتي الشياطين عندما يتفكك الوطن، ويأتي الوطن عندما يهاجم الخارج الداخل وسواءً في الداخل أو الخارج لا يهم مع أشخاص استسلمت لنقاط ضعفها، ورضيت بالنهاية.

# الفصل السابع عشر

نزل الضباط وراء القائد إلى سيارة الشرطة لكي يتجهوا إلى بيت سيد والقبض عليه، كان لدى القائد أن سيد له معلومات كثيفة ستُفيد في القبض على رحيم والتخلص من جرائمه وأخذ ثأر ضحاياه ثم الانتقام منه للضباط المضحوك عليهم بذكائه وهروبه من الحقيقة طوال تلك الفترة، صعدوا إلى صندوق خلف السيارة وركب القائد بجوار السائق وأمره بالتوجه إلى مكان بيت سيد، كانت لدى هذا القائد رغبة في التخلص منه، لقد كذب عليهم واستخدم نفوذه لنفسه واستخدم القوة في ردع منافسيه.

"أين تذهب؟"

جاء ذلك الصوت من ضابط في أحد الأكشاك الخاصة بالقسم المتواجدة في الخارج. فيرد عليه قائد حملة القبض على رحيم من وراء باب سيارة الشرطة

"سأذهب كي أقبض على ..."

لتكمل قنبلة في أسفل السيارة عدادها وتنفجر سيارة الشرطة أمام القسم وتتناثر أشلاء السيارة في كل مكان محيط بالقسم ومعها فارقت الحملة الحياة قبل أن تفشي عمَّا كانت تنوي عليه لأحد .

# الفصل الثامن عشر

مازال رحيم ناظراً إلى خيال الرجل المنعكس على الأرض خلف المكتب، كان يريد أن يرى وجهه لكن شيئاً ما منعه من تلك الخطوة، كانت السماء تُعلن عن قيام حرب أمطار قوية خلال لحظات، مثل ما يتوقعه رحيم تماماً من سيد وهذا الرجل، مصباح في السقف معلقاً يترنح مثل جثة محمود التي يحلم بها وهي تترنح أمامه من كثرة الطعنات بها، نظر له سيد وهو جالس ليرى رد فعله من سرقة ملفه من مكتبه، كانت نظراتهم مثل سكاكين حادة تتطاير بينهم، ليأتي صوت الرجل مرة أخرى بنبرة أقوى، وقد ظهرت على كلماته الصرامة والقوة

"إني أحميك من كل شيء يحاول أن يفسد خطتي في التخلص منك"

عبس وجه رحيم فجأة من تلك الكلمات وكأن كلامه مشنقة تقترب من رقبة رحيم لتفصلها عن جسده ويتخلص منه نهائياً.

"أريدك لي فقط وحدى، لا أريد أن يشاركني أحد في الانتقام منك، أنا من فعلت منك طاغٍ هكذا وسيأتي اليوم لأُفسد لك كل شيء يا رحيم"

جاءه صوت الرجل من خلف المكتب ليضرب أذن رحيم بقوة، كانت كلماته تبعث الرعب في قلبه، زاد قلقه عندما بدأ يتحرك الكرسي قليلاً إلى اليمين، في دهشة كل من سيد ورحيم وتسمرت أعينهم على الكرسي وهو يدور ببطء، كانوا يريدون أن يعرفوا من هو الرجل الذي يدير تلك المنظومة، الذي يصدر الأوامر بقتل وسرقة كل من له ذرة عداوة صغيرة معه، من هذا الرجل الذي لا يرحم أحداً ويريد أن يسيطر على الكل، يسيطر على الجميع بل يسيطر على حياتهم وفكرهم، بدت السماء وكأنها تشارك بتلك الغمامة اللحظة التي يشعر بها رحيم وسيد أن قلوبهم كادت أن تموت إذا توقف الكرسي عن الاستدارة ولم يروا وجهه، أصدر الكرسي صوت تأوه بسيط بسبب ثقله، من الممكن أن يكون ثقل الرجل هذا بسبب الجرائم التي ارتكبها، من كثرة الأوامر

التي يصدرها بالقتل، أم أنها مأكولات تصطدم ببعضها داخل معدة واسعة لا تمتلئ ولا ترضى بما يدخلها، كل هذه كانت هواجس سيد ورحيم عندما بدأ الرجل في الاستدارة لهم .

***

ينظر محمود إلى بيت سيد وهو واقفٌ في وسط المقابر، يجد سحابة كبرى وكأنها تحتشد شيئاً فشيئاً ، تبدو كالجيوش التي تتحرك ببطء كي لا تنتبه لها أعداءها، وجد البيت مفصولاً عن غيره من البيوت الأخرين فلقد كان القدر يعرف تلك المأساة التي يعيش بها الآن كي يضع المجرمين في بيت معزول

قريباً سيُفنى هذا البيت لهذا وضعه القدر معزولاً عن غيره"

زفر من أعماقه وقد اقتربت السحابة من الأخرى قليلاً تاركة مساحة قليلة في المنتصف، كان يُبعث منها شعاع يطل خلسة من بين الجيوش في السماء على بيت سيد، ظل ناظراً إلى السماء يرى التحام السحب ببعضها، تذكّر تاريخ سعادة وحزن، أمل ويأس، حب وكره، ابتلع ريقه بصعوبة بالغة، لم يذق الطعام منذ مقتل أمه، ظل اثنا عشرة ساعة بدون أن يرتشف قطرة ماء واحدة، والآن لم يتبقَ إلا بصيص نور خافت تنسدل أشعته من بين السحب، مثل قلبه البائس من كل فرح وأمل، تأتي المصائب مجتمعة ويأتي الفرح منفرداً لا أحد معه، أغمض عينه بسبب نور قوي ضرب السماء وأصاب عينيه بقوته، لتبدأ سلاسلاً من الرعد المُفزع .

***

ظل الرجل يستدير ببطء شديد جداً ، على عكس دقات قلب رحيم وسيد التي كانت مثل طلقات رصاص بندقية لا تهدأ ولا تمل من كثرة الضرب بها، حروب عديدة قامت ولم تهدأ إلا بسقوط ضحايا عديدة، خسائر جسمانية وأسلحة عديدة وأموال ملقاة على أرض بل على دماء الضحايا التي دفعتهم أوطانهم للدفاع عنها، لمح سيد ضوء تسلل سريعاً عبر نافذة خلف المكتب وهو ينظر إلى الكرسي الذي يستدير مثل عجلة بدون زيت تدور ببطء بالغ، ظل نظر رحيم وسيدُ مثبتاً على الكرسي حتى اكتملت

استدارته، لكن لم يدخل وجهه من ضمن مجال ضوء مصباح معلقاً في الأعلى، تحرك الرجل إلى الأمام حتى يدخل في مجال الضوء لتظهر ملامحه لدى رحيم وسيد لتصرخ السماء بصاعقة رعدية اهزت لها جدران الغرفة .

***

أسند عصام يده على كتف محمود

"هيا بنا يا محمود، سوف تسقط الأمطار غزيرة في الدقائق القليلة، هيا بنا يا صديقي"

نظر له محمود في عتاب شديد على تلك الكلمة الكبيرة "صديقك؟ كيف لك أن تقولها بعد أن قتلت أمي يا عصام، ما هو مفهوم الصداقة بالنسبة لك"

ارتبك عصام من كلامه ثم تركه محمود ومشى، نظر على قبر أمه وقرأ الفاتحة ثم ذهب بعيداً تاركاً عصام خلفه وسط المقابر.

***

دخل الرجل مجال الضوء على المكتب لتظهر ملامحه لدى سيد ورحيم، جحظت عيني رحيم عندما رآه، لم يستمع لزخ المطر خارجاً بكل قوته لتضرب حبات الثلج النافذة دون أن يشعر بها رحيم، لكن التفت لها سيد وانتبه لها، ظلت أعين الرجل مثبتة على رحيم طويلاً قبل أن يقول الأخير في ذهول "شعبان !! " .

***

(من مشهد سابق)

وبطريقة لم يُقلها لي الجار المجاور لهم، أصبحت الأرض ملكاً لرحيم.

***

في بعض الأحيان يكون الانتقام نقطة واحدة تتسع كلما زاد الظلم، كلما زاد اليأس، تنفرج العيون بدلاً من الدموع دماء،

**شهادة ميلاد قهر طُبعت في مكتبة حروب تبدأ بها سلسة انتقام غير مباشرة، سياسة انتقام اتبعها ظالمون لتكون عصا تُضرب بها أعناق الضعفاء، لابد لكل ظالم من نهاية، ولكل انتقام بداية.**

# الفصل التاسع عشر

مشى عصام عدة خطوات، وجد أربع حجرات ذات أشكال غريبة من حيث الحجم وترتيبهم بجانب بعضهم خلف المقبرة، اقترب منهم وجثى على ركبتيه وأمسك واحدة منهم، كانوا الأربعة مجتمعين بجوار قبر أمه، وجد نقوش على الأحجار لم يفهمها جيداً ، قرب حجر من عينه ودقق النظر فيها وجد نقش يحمل حرف R، التقط الحجر الثاني دون اكتراث للأولى ودقق النظر فيها أيضاً وجد نقش عليها حرف S، بدت على ملامحه عدم الفهم لتلك الحروف، أمسك بيد مرتعشة الحجر الثالث ودقق النظر فيها لم يجد نقش، أدارها في يده حتى وجد نقش حرف E، ثم أمسك بالحجر الرابع فوقعت منه بسبب ازدحام يده بالأحجار الثلاثة، ألقى بهم ثم التقط الرابعة فوجد نقش عليها رقم ٤، ليعبس وجه عصام فجأة من تلك النقوش على الأحجار دون فهم الغرض منها.

***

كان سيد يعرف وجه شعبان، فهو الذي حكى له قصة اغتصاب رحيم لأخت محمود وهو السبب في تدهور حالة الأسرة كلها، لكن لم يعلم أنه يديرهم كلهم لصالحه في الانتقام من رحيم، ظل سيد ناظراً لنظرات شعبان ورحيم دون فهمها لكنه اختار البقاء لتلك المواجهة الشرسة، نظر شعبان على الملف الموجود على المكتب ثم قام من مكانه في هدوء ويتجه نحو رحيم الناظر له في اندهاش من كل هذا الغموض الذي عاش فيه هذا الرجل

"نعم، أنا شعبان الجار المخلص الوفي لك أنت ومحمود"، اندهش أكثر رحيم من كلامه، أي إخلاص ووفاء تتكلم عنهم، هل الإخلاص انتقام؟ هل القتل والسرقة من سمات الأوفياء؟، أسئلة كثيرة كانت تدور في رأس رحيم قبل أن يردف شعبان

"لدي الملف الذي كنت تهدد به سيد هذا الرجل الذي عمل معك فترة طويلة واكتشفت بعد تلك الفترة أنه ضدك، إن سيد من أخلص الناس إلْي"

ثم استدار إلى سيد في صمت رهيب يخيم على الغرفة الصغيرة ويقترب منه

'لقد اتفقنا سوياً يا سيد ألا تقول له على شيء يخص الملف هذا، ثم دخلت إلى الغرفة وأخرجته من الدولاب وهذا يخالف الاتفاق، وأنت تعلم من يخون الاتفاق معي ما هو مصيره المحتوم"

نظر سيد في الأرض بعد أن ظهر على وجهه الارتباك الشديد وارتعشت يده عندما مد شعبان يده إلى سلاح في جنبه ووجهه ناحية رأس سيد لتنطلق رصاصة مدوية في المكان يسمعها عصام وينتفض من مكانه فجأة في المقابر .

نظر شعبان إلى رحيم وابتسامة تعلو وجهه بعد أن رأى جمود ملامح رحيم من قتل سيد، أخرج من الملف ورقة ثم نظر إلى رحيم وقال

"أتتذكر يا رحيم تلك الورقة .. إنها ورقة تنازل عن الأرض لك، تلك الورقة التي رفضت أم محمود أن تمضي عليها وقمت بضربها ثم اغتصبت ابنتها وقتلتها، ومن ذكائك الخارق وضعتها في ملف يخص قضية قُيدت ضد مجهول لتبدأ لعبتك اللعينة .. وتظن أنه لا يوجد من ينتظر رقبتك". نظر له رحيم في غيظ مما سمع منه وخرجت كلماته مثل سيارة أعلنت فراغ خزانها من الوقود 'لم أتوقع أن تكون أنت سبباً في تلك الكوارث كلها يا شعبان".

"أنت من فعلت كل هذه الكوارث في البداية، البادي أظلم يا رحيم".

***

السؤال عن سبب الصمود في حد ذاته إجابة، نجد صمود الجيوش في الحروب دفاعاً عن أوطانهم، نجد صمود المظلوم على من ظلمه انتقاماً ، ونرى الصمود أحياناً ضعفاً وليس قوة، نراه تهاوناً وإذلالاً لكن في الحقيقة هو قوة وعزة. المعادلة هنا معكوسة، كل شيء هنا نجد المقابل له، لن تجد هنا شيئاً متوقع .. كله ضد التوقعات، كله

**مذنب، الجميع يسأل ولا يدري أنه يجيب على سؤاله، من ينتقم؟ ما سبب الضعف؟ ما هو القادم؟ كلها تساؤلات إجابتها موجودة فيها.**

**تفصيلة دقيقة جداً ، مهمة، رياح عاتية تطيح بكل ما أمامها، الترتيب والتخطيط ليس سهلاً على من ينتقم، قد يحتاج إلى شهور وأيام .. بل إلى ساعات قليلة كي يكوِّن فكرة عامة عن الضحية، الذكي هو من يتأمل التفاصيل، من يضع لنفسه حدود يسير عليها، إذا انحرفت انفجر، وإذا استقامت انشطر جزئين، شطْر يحاولُ أن ينتقم، والشطُر الثاني ينفذ الانتقامْ.**

# الفصل العشرون

سمع عصام صوت طلقة آتية من بيت سيد، كان ممسكاً بالحجرة المنقوش عليها حرف S، تركها بالجوار من الأحجار الأخرى ثم مشى بخطوات حذرة ناحية البيت وعيناه مثبتة عليه،كانت الأمطار تسقط فوق رأسه مثل أحجار تُلقى فوقها، توقع قتل رحيم أو قتل سيد، لا يهم فالمجرمون مصيرهم إجرامي مثلهم، كان صوت رعد خفيف يضرب السماء وتُرج الأرض معها، يبدو من صوته أنه يقوي ويزداد عنفه كلما اقترب عصام من البيت.

***

كان شعبان يتمعن النظر في الملف المُلقى أمامه على المكتب، ترنح قليلاً المصباح بسبب الرياح القوية في الخارج، أمسك الورقة من جديد ورفعها أمام رحيم

"لعلك تساءلت يا رحيم كيف تعرفت على سيد"

وأشار على سيد وهو مرخي الرأس على صدره، لم يتكلم رحيم ولم يتحرك منذ أن عرف أن الرجل الخفي هو شعبان جاره وجار محمود، أكمل شعبان

"أنت من كلفته بمهمة بيع البيت في الريف الذي تملكه أنت، جاء لي ذات يوم وطلب مني أن أعرف شخص يشتري الأرض والبيت، وقابلته كثيراً حتى جاءت اللحظة أن أحكى له كل ما فعلته مع محمود وعائلته، وتعاطف معي وتحالفنا ضدك كي نقضي عليك"

ما زال رحم مندهشاً غريقاً في أعماق شكوكه وغيظه من سيد وشعبان، سمعوا صوت يدق على الباب والجدران من الخارج، ففزع لها قلب رحيم وشعبان.

***

مشي عصام عدة خطوات ببطء حتى سقط فجأة على الأرض مما أدى إلى كسر قدمه ولم يقدر على إكمال سيره إلى بيت سيد، أسند ظهره على رأس مقبرة ودلّك قدمه حتى يخفف الوجع قليلاً لكن بلا جدوى، زحف على الأرض حتى وصل إلى مقبرة أم محمود، أصدر تأوهاً مكتوماً نتيجة كسر قدمه ومحاولةً منه أن يخفف ألمه، دار حول القبر زحفاً على الأرض حتى اقترب من الأحجار وجدهم ثلاثة فقط، فتسمر عصام مكانه لاختفاء الحجرة الرابعة .

***

خروج الظلم عن مساره المحدد يُعد جريمة وخطر كبير، فإنه مثل القطار الذي ينحرف عن قضبانه، يلقي بنفسه في التهلكة لكن يدمر أشخاصاً أبرياء بداخله، هناك أنواع انتقام متعددة لكن هناك نوع لم يعرفه الكثير منا إلا الذي ذاق الانتقام، نوع يجمع فيه بين العقل والجنون، الخير والشر، إنه نادر لا يتبعه إلا من كان في قلبه حقد شديد على الظالم، رومانسية الانتقام .. هذا هو النوع الفريد من أنواع الانتقام، والسخرية من هذا النوع يُعد انتقاماً أيضاً .

# الفصل الحادي والعشرون

رغم الرياح الشديدة ظهرت أصوات الدق الخافتة، أمسك شعبان مسدسه وأمر رحيم بالبقاء وإلا سيقتله، خرج من الغرفة وما زال الدق مستمراً على الجدران حول الباب الخارجي للبيت، وضع يده على المزلاج وهو يتأمل الصوت جيداً تارة وصوت الرياح الشديدة في الخارج تارةً أخرى، فتحه بسرعة ووجه المسدس في الهواء أمامه تحسُباً أن يكون شخص واقفاً أمامه لكن لم يجد أحداً ، استدار لرحيم، وجده واقفاً أمام المكتب ماسكاً بورقة التنازل التي أخرجها شعبان من الملف، دخل شعبان الغرفة فأحس به رحيم واستدار له "تلك الورقة ليست الأصل، أنا لا أملك صورة منها". ذُهل شعبان من تلك الكلمات، رفع حاجبيه وقال "ماذا قلت؟!"، "هناك شخص ما أخذ الأصل وترك لنا صورة من الملف كله". ونظرا إلى بعضهم في ذهول.

***

نبش عصام في الأرض المحيطة به حتى اقترب جيداً من الأحجار وكانت يده وملابسه قد ظهرت عليهم التصاق الرمال بها بسبب الأمطار المتساقطة عليهم. أمسك كل حجرة منهم وقربهم إلى عينيه، وجد المختفية تحمل حرف S، ما زالت عيناه جاحظة واندهاشه فاق الحدود، فإنه لم يكن معه سوى الله والمقابر

"هل أحد من المقابر أخذها؟ إنها تفاهات، إذاً أين ذهبت ذاك الحجر؟"

***

تبادل شعبان ورحيم النظرات لبعضهما في اندهاش وذهول مما رأوه

"من أخذ الملف الأصلي؟"

أخرجها رحيم لشعبان ولم ينتظر منه رداً على سؤاله، كان شعبان غريقاً في أعماقه يفكر من سرق هذا الملف

"من تجرأ وفعل هذا، لابد وأنه غريب عنا، ليس مننا هذا السارق".

ضحك رحيم في سخرية

"لا تحاول الكذب عليَّ أيها المجرم، فأنت من سرقت الملف الاصلي وصورته ووضعت الصورة هنا لتبقي الأصل معك، لعبة جديدة لكن لن تدخل عليَّ أيها الرجل".

انتهى رحيم من كلامه ثم فاق فجأة شعبان من غفلته الفكرية ليعيد كلام رحيم مرة أخرى في ذهنه، فينظر له

"لم أسرق الأصل، فلقد ذهب سيد إلى مكتبك ولم يجد إلا هذا الملف".

أصبحت نبرات صوت شعبان تتحول من الغضب إلى الهدوء، فمن الممكن أن يطيح بهم جميعاً خطأ صغير ويدمر كل شيء بناه شعبان.

***

الأخطاء عادة بسبب تسرع في القرارات الُمتخذة، من يُخطئ يُعاقب على خطئه بأي أسلوب، لكن العقاب هنا يختلف، كما أسلفت، المعادلة هنا معكوسة، تختلف بطريقة أسوء وأشد، كلما مرت بك السنوات يشتد صُلب العقاب ومعها تُعلن أن الانتقام حتماً سيأتي، إن الشياطين تعبث بنا في كل مكان، وساوس في الآذان تقرع طبول الحروب في الوجدان، خلفك وأمامك يوجد شريط رفيع، ما بين التقدم والتأخر زمن بعيد،و ما بين الظالم والمظلوم خطأ صغير، إذا أخطأه الظالم فعلى المظلوم التنفيذ.

# الفصل الثاني والعشرون

فاق عصام من شروده ودوامته الفكرية في اختفاء الحجرة الرابعة التي تحمل نقش بحرف S بحث بعينيه جاهداً في تمييز الأحجار اعتقاداً منه أن يكون أي حيوان قد حركها، لكنِ لَم بالذات تلك الحجرة التي اختفت؟، كادت الأفكار أن تقتله، أصبح المكان بالنسبة له شبه مخيف، ظل هنا منذ أربع ساعات لم يقشعر بدنه إلا الآن، شعر بأن أحداً يراقبه، يسمع أنفاسه المتصاعدة والهابطة المزعجة، صوت الأمطار الذي يصطدم بالأرض يأتي له بأفكار عنيدة، يأتي له بتساؤلات عديدة، مرت عشر دقائق يمر بعينيه بين القبور وعلى الأرض وهو جالس عليها بسبب انكسار قدمه، تمتم بآيات قرآنية حتى تحميه من جن أشعث يراقبه.

***

أمسك شعبان الملف بيده الغليظة وتمعن النظر في كلمة –الجريمة الرابعة– كانت نظرته تتأمل الخطوط في الحروف، نظراته كانت صارمة لتلك الكلمة ثم رفع عينيه إلى رحيم

"لماذا قُيدت تلك القضية ضد مجهول يا رحيم؟"

"لم تكفينا الأدلة اللازمة للكشف عن حقيقة تلك الجريمة"

"وما كان نوعها؟"

"شاب تسبب في قتل ثلاثة رجال، لم يكونوا على صلة ببعضهم، عندما حققنا مع الشاب لم نجد دليل قاطع على الجريمة، ظلت القضية مفتوحة شهرين ونصف ولم نتوصل لنتيجة، فلذلك قُيدت ضد مجهول"

سكت رحيم قليلاً حتى جاءه صوت شعبان

"هل تتوقع أن يكون المجرم هذا هو من سرق الملف؟"

هز رأسه رحيم بالنفي وقال "مات"

هز شعبان رأسه بعد أن فهم لغز الملف لكن لا يعلم أن دوافع القتل في تلك الجريمة هي اللغز المبهم عند الجميع.

***

انتهى عصام من قراءة الآيات القرآنية فاطمأن قلبه قليلاً ثم أمسك بالثلاثة أحجار، ظل ينبش في التراب بيده ويصدر تأوهات كثيرة فلم يعد يحتمل هذا الألم في ساقه، ظل يزحف على الأرض مثل الثعبان بعد أن لُطخت ملابسه بالطين، كانت الأفكار متضاربة في ذهنه، زحمة في عقله تسببت في قطع اخر حبلٍ يربطه بين اليقين ، أصبح مُشتتاً لا يقدر على التفكير، لمح وهو يزحف على الأرض آثار أقدام علي الرمال ، اقترب منها جيداً وقلبه بدأ يخفق بسرعة شديدة، ظلت السماء مُغيمة وكأنها ترفض أن يرى تلك الآثار، لكنه ظل يُثابر حتى وصل إليها، اقترب منها حتى يراها بوضوح، كانت آثار القدم الواحدة متجهة ناحية بيت سيد، فهو يرى وجه القدم متجهاً لهذا البيت اللعين، ظل ناظراً بتمعن إلى تلك الأقدام، فجأة ظهر خيال شخص يقف أمامه انعكس ظله على الأض، وأصدرت السماء وميضها لتؤكد ظهور هذا الظل مجدداً ، وتُدق أجراس قلب عصام معها بسرعة فائقة.

***

كانت السماء قد أعلنت عدم انقطاع الأمطار والغيوم بداخلها، ظلت مُعبئة بالمياه لفترة طويلة حتى أصبحت مكتظة بالسحب الثقيلة، كادت أن تسقط على الأرض من ثقل ما تحمله، تلك الأمطار الغزيرة التي تضرب نافذة المكتب الذي يقف فيه رحيم وشعبان، شعبان كان مازال ينظر إلى الملف وورقته الأولى المكتوب عليها –الجريمة الرابعة–.تأملها جيداً بعد أن حكى له رحيم عن قصة القضية التي قُيدت ضد مجهول، سأل نفسه ما فائدة أن يسرق مجرم تلك القضية هذا الملف بعد أن اُغلقت؟، استدار إلى رحيم وكان شارداً أيضاً في ذهول مما رآه، أطلق شعبان زفرة قوية جعلت رحيم ينتبه له فجأة وعبوس وجهه جلياً عليه. أمسك شعبان الملف بيده ثم فر أوراقه مرة أخرى، كان سؤال واحد فقط ظل يراوده منذ أن أتاه الملف من سيد:

**"ما حقيقة الأوراق البيضاء في ذلك الملف؟".**

***

**حين يأتي الانتقام لا شيء يرده، لا شيء يمنع المنتقم من انتقامه، التضليل هنا هو أساس الانتقام، الكذب هو روح الانتقام، إفساد العقول هو الانتقام، الانتقام حين يأتي من منتقم أخفاه سنين عديدة فإنه يؤثر على العقول، يجعلك ترى شيئاً مادياً معنوياً ، يجعلك ترى الشر أفضل من الخير، اللعب على العقول هو أجمل ميزة تراها في هذا الكون، عندما تزرع الهواجس أصول معنوية في الفكر فإننا أمام أشد أنواع الانتقام.**

# الفصل الثالث والعشرون

تمم عصام على المسدس في جنبه قبل أن يرفع رأسه إلى صاحب هذا الظل، كانت رأسه تزج بأفكار وهلاوس كثيرة بخصوص ذلك الظل، إما سيأتي هذا الرجل لقتله أو لدفنه حياً في تلك المقابر، برقت السماء مجدداً وهو يرفع عينيه ببطء ومازالت يده على المسدس في استعداد كامل لإخراجه وتفجير رأس هذا الشخص، مر بعينيه على انعكاس لظل، لم يكن يرى شيئاً سواه حوله، حتى اقترب من بداية الجسم ثم أكمل باقي الجسم بسرعة فوجد انعكاس الظل لرأس مقبرة أمامه وليس لما ظنه العقل بانه انعكاس لشخص آدمي .

***

أدار رحيم ظهره لشعبان ونظر إلى النافذة ثم تقدم إليها، كان يسمع صوت طرقات حذائه على الأرض الخشبية، نظر من النافذة حيث كانت تطل على المقابر، نظر إلى قطرات الماء المتساقطة على زجاج النافذة، فكر كثيراً وكثيراً حتى يصل لمن سرق هذا الملف لكن بلا جدوى، تذكر الضباط في القسم من له اليد في السرقة، من المستفيد؟، شرد بعيداً ولم يشعر أنه ينظر إلى شخص ما قابع وسط المقابر.

***

كان شعبان شريداً أيضاً وسط كل تلك الأوراق البيضاء التي لا يفهم المغزى من وضعها في ملف هكذا، حاول أن يسأل رحيم عن هذا السؤال لكنه رفض، ظل فترة طويلة يعمل في صمت تام لا يراه أحد ولا يتكلم مع أحد، تلك هي المرة الأولى التي يُوضع بها في ذلك المأزق

"أين الملف الأصلي؟ ما فائدة الأوراق الفارغة؟".

جاءه صوت رحيم

"تلك الأوراق هي بداية انتقام جديدة على وشك أن تبدأ". فيسمعهم محمود من خلال جهازه اللاسلكي عبر الميكروفون الذي وضعه في غرفة المكتب قبل خروجه منها ويطلق ضحكة ساخرة "لقد بدأت بالفعل " .

***

لاتفكير كثيراً في أمر ما يجعلك شارداً عما حولك فلا تسمع ولا تتكلم وتصل الدرجة بأنك لا ترى، يرى المنتقم أن النهاية لن تأتي أبداً ما دام قوياً ، مشاهد من حياة شخص لم تُذكر، كانت تلك المشاهد هي انتقامه، والترتيب لها لم يكن هيناً عليه، الفهم هو مجرد نتيجة إذا حصلت عليها شعرت براحة نفسية تغمرك كلياً.الدوافع لم تُثبت، والشخص غير موجود، والأدلة غير واضحة، إذاً فالجريمة ليست كاملة، لكن الجريمة تُكمل عندما يغيب العقل عن الوعي لتبدأ الشياطين لعبتها.

# الفصل الرابع والعشرون

نظر عصام إلى باقي الجسم فوجده انعكاس لرأس مقبرة زفر بارتياح "كيف شاهدته انعكاس لشخص، لا يهم"

أشاح بوجهه عن رأس المقبرة أمامه ودقق النظر مرة أخرى في آثار الأقدام التي وجدها، كانت متجهة ناحية بيت سيد، زحف قليلاً حتى اقترب من الأثر الآخر للقدم وجده في نفس حالة الأولى، زحف أكثر وهو يجد آثار القدم تمشي معه حتى وصل إلى الأثر الأخير للقدم فوجد ما جعله يندهش ويشهق ويضع يده على فمه ...

***

جلس شعبان على كرسي المكتب وتبعه رحيم، ظل الاثنان يفكران في مكان النسخة الأصلية من ذاك الملف، زفر رحيم بقوة بعد أن صمت طويلاً وقطع تفكير شعبان، نظر له الأخير نظرة طويلة وكأنه شرد بعيداً ثم أتى فجأة ليقول

" متى سُرق منك هذا الملف؟"

"أنا لا أعلم أنه كان مسروقاً، لم أفتحه منذ فترة"

"لماذا لم تفتحه؟"

"لأن العمل كان كثيراً ولم أنتبه لهذا الملف إلا بعد مقتل أم محمود".

نظر له شعبان طويلاً مجدداً، فتنهد رحيم وقال

"لَم تسأل تلك الأسئلة؟".

جاءه رد شعبان بعد التمهل والتفكير فيه مدة لا بأس بها ثم قال

"محمود هو سارق النسخة الأصلية يا رحيم".

لتُصعق السماء فجأة ويظهر نور رعدها من بين زجاج النافذة وراء كرسي شعبان.

***

**الرغبة في الانتقام تؤثر على العقل، تؤثر على جوارحك، الرغبة في الانتقام تعطيك أملاً في التخلص من الظالم ومن صفات المنتقم. هو التشتيت، أو التضليل، من بين شعاع الظلم يمر الانتقام بدون أن يشعر الظالم، تفعيل خاصية التضليل من المنتقم تزيده قوة ودهاء وسيطرة على عقل الظالم، وما بين الانتقام والعفو توجد نقطة سوداء في قلب المنتقم هي .. الإنسانية.**

# الفصل الخامس والعشرون

شرد شعبان ورحيم بعيداً بعد جملة شعبان الأخيرة، لم يتوقعوا أن الضعيف كان قوياً بهذا الشكل، وأن محمود كان يخطط للانتقام منذ زمن بعيد، تذكر رحيم اغتصاب أخته هالة وإجبار أمه على الإمضاء لورقة التنازل عن الأرض، وتذكر شعبان إعطاء الأوامر بقتل أمه، كل ذلك كان دافعاً قوياً لتضليل محمود لكل من ظلمه. رن هاتف رحيم فانتفض الاثنان فجأة، دس يده في جيبه وأخرجه بيد مرتعشة وجد المتصل رقم غريب، ضغط على زر الإجابة واستمع للمتصل ثم جحظت عيناه فجأة ونظر إلى شعبان الذي ارتبكت ملامحه من أعين رحيم المفتوحة علي مصرعيها .

***

كانت عيون عصام لما شاهده .. مرعبة، وضع يده على فمه ليقطع صوت شهقته القوية، نظر إلى آثار الأقدام بجانبه وإلى القبر المفتوح أمامه، لقد كان القبر فارغاً إلا من كفن غير منسق ليدل على هروب تلك الجثة أو ربما سُرقت، "لكني لم أَرها سابقاً ، إنها مفتوحة الآن"

كاد الشك أن يقتله، توترت ملامحه عندما نظر مرة أخرى إلى آثار الأقدام

"إذاً تلك الآثار هي قدم المتوفى، يا إلهي".

كانت عيونه تنظر إلى القبر في فزع ثم يدور حول نفسه بحثاً عن تلك الجثة الهاربة من القبر، ما زال جالساً على الأرض لا يستطيع أن يقوم من مكانه، علم الآن أن الموت يقترب منه، ستتخلص منه تلك الجثة إذا رأته، نظر ثانيةً إلى القبر المفتوح وإلى أثر الأقدام بين يده، يسمع صوت رعد قوي يضرب السماء ومعها تنطلق دقات قلب عصام بسرعة جنونية، كانت دقات قلبه تظهر إذا نظرت إلى صدره من شدة الدق وسرعته، نظر سريعاً إلى المكان حوله وجد أنه في وسط المقابر، لم يلاحظ ذلك إلا الآن، شكه وصل إلى أبعد الحدود، نظراته سريعة تحسُباً لوجود الجثة أمامه أو خلفه،

ظل ينظر بسرعة وهو جالس على الأرض لم يتحمل كل هذا التوتر، فالقبر مفتوح وآثار أقدام موجودة إذاً الجثة خارج القبر، فصوَّب المسدس ناحية رأسه وضغط على الزناد واخترقت الرصاصة رأسه لتنفذ إلى المخ ومعها صُعقت السماء مجدداً وكأن الله لا يريد أن يسمع تلك الطلقة رحيم وشعبان.

***

ما زال رحيم واضعاً هاتفه على أذنه وينظر إلى شعبان نظرات شك طويلة، لم يفهم شعبان ما السر وراء تلك النظرات، أنزل هاتفه ووضعه على المكتب دون أن يتفوه بكلمة واحدة، فقط النظرات كانت كفيلة أن تدفن شعبان مكانه وعلى ذلك الكرسي، نظر إلى سيد المقتول أمامه وفي صوت يدل على ما يُقدم عليه رحيم، قال له

"ماذا فعلت بابنتي؟"

قطب شعبان حاجبيه وقال

"ابنتك؟" استطردها شعبان بسرعة ليدل على أنه لم يفعل شيء لكن شك رحيم ظل بداخله أن له يد فيما حدث لابنته، نظر رحيم إلى جثة سيد مرة أخرى وقال بصوت مرتفع :

"أحدٌ من المستشفى يقول إن ابنتي دخلتها بسبب نزيف حاد في الرأس وأن أحد ما دخل الشقة وضربها حتى نزفت، قل لي ما فعلت وإلا انتقمت منك الآن، لا تُثِر غضبي، هذا لمصلحتك ".

***

الستائر تنسدل عندما تنتهي مسرحية مشوقة أرادها الناس بأسلوب متميز، يقف الجميع للفريق ويصفق له على هذا العمل، وفي نفس الوقت يدق قلب الفريق من فرحته،هذا في جميع الأحوال يحدث، لكن هنا المعادلة معكوسة، من يُصفق يموت، ومن يعلو صوته على أحد يُضرب حتى الموت، ليس لنا من تلك الدنيا إلا قليلٌ من الناس يَذكروننا بالخير، يضيع الأمل في لحظة، التضليل هو سيد الغابة هنا، تلك الغابة

**التي لن يكون لها مسؤول بعينه، الجميع مسؤول عن توقعه، التوقع هنا جريمة ارتكبها شخص وسيندم عليها، النهاية تأتي أو ربما لا تأتي أبداً.**

# الفصل السادس والعشرون

خبت كل شيء بعد طلقة رصاصة من مسدس عصام نفذت إلى رأسه وأعلنت موته في الحال، صوت الأمطار المصطدم برؤوس المقابر خافت، السماء ما زالت بها غيوم كثيفة، برق يظهر فجأة ويختفي في لحظة واحدة، كان صوت أقدامه يؤلم رأسه لكنه كان مصراً على إكمال مشواره الذي بدأه في التخلص من الظالم، اقترب من جثة عصام ونظر إليها نظرة طويلة، ثم مشى عدة خطوات حتى اقترب من قبر موجود وجثى عليه وأخذ الثلاثة أحجار وضمها إلى الرابعة في يده، ثم عاد مرة أخرى إلى جثة عصام وأخرج ورقة من ملف في يده وكتب عليها –الجريمة الأولى– ثم وضع الورقة وفوقها حجر يحمل نقش بحرف E على الجثة.

كانت السماء قد أخذت راحة قصيرة من سقوط الأمطار بها، والأرض تشبعت بالمياه الكثيفة التي تكفيها لمدة عامين مقبلين لتطرح بين المقابر نباتات وزهور لتضفي على شكل المكان أكثر جمالية واشتياقاً للمتوفى إلى قبره الأبدي فيه. خطوات محمود إلى بيت سيد ونظراته إليه كانت تدل على القادم في السماء، إنها الحرب المنتظرة والمواجهة القوية بين القاتل والمقتول.

***

كانت مخاوف شعبان من تهور رحيم في أن يقضي عليه بطلقة نارية واحدة من مسدسه أشد من خوفه للموت نفسه، ذلك الرجل الذي لم يعرف الرحمةُ طلقاً، قام بقتل وسرقة ونهب كل ما رأته عينه وسال لعابه عليه، رحيم كانت عينه تخرج منها الشر لتحرق ذرات الهدوء والطمأنينة في قلب شعبان، ظلوا ناظرين إلى بعضهما في تركيز شديد وكأن الشيطان أخذ مكانه بينهم واستقر بين راحة يدي رحيم بجانب المسدس في يده، جثة سيد أمامهم ُعلنة الاستسلام وانطلاق الروح منها منذ ساعة تقريباً، فجأة انتفض قلب رحيم وشعبان لانفراج الباب على مصرعية بقوة شديدة ليجدوا شخصاً

**يقف على الباب وبسبب ظلام المكان لم يروا ملامحه لكن برق سريع تبعه رعد شديد أنار وجهه ليعرفوا أن الشخص الواقف هو محمود.**

***

**عدالة السماء تأتي عندما تستقر العين في مكانها مثل البشر جميعاً ، تأتي لمجرد الراحة الأبدية، الظالم عمره طويل، والظلم أبدي، تأتي جهنم لتبتلعهم جميعاً في ملعقة واحدة، شراهة في ذوبان جلودهم من نارها، لا مفر منها في ذلك اليوم، تقول فقط كلمتها وعليك الإنصات لها، تنفخ في جسدك شظايا محرقة، ذلك هو نهاية الظلم ببساطة شديدة لكن في الآخرة، بينما الأمر يختلف في الدنيا، وبخاصة ..هنا.**

# الفصل السابع والعشرون

ظل رحيم وشعبان مندهشان لما رأوه، كانت أعينهم جاحظة لعودة محمود مرة أخرى، لم يتوقعوا أن يعود الضعيف قوياً.. إنه مُحطم نفسياً وجسدياً، لا يقوى حتى على الحركة، إذاً كيف ينتقم بجسد هزيل وأنفاس متقطعة من حين لآخر! تقدم محمود عدة خطوات حتى دخل مجال ضوء على منضدة كبرى في الصالة الفارغة، كانت أعينهم مُثبته عليه وهو يمشي في قوة دون خوف، كان مسدس رحيم ما زال مرفوعاً في الهواء لكن غير مصوب بشكل صحيح إلى شخص معين. دخل محمود الغرفة وهو يبتسم لمشهد كان يخطط له منذ البداية فلقد أصيب رحيم بنوبة مكتومة داخله ورفع مسدسه في وجه شعبان، وبالفعل تم قتل سيد الرجل المعتمد عليه من قبل رحيم، أيضا وضع له خطة كي يصل إلى هذا الجزء من بحر عميق يغوص داخله دهاء شاب استطاع أن يتخلص من الجميع دون أن يلوث يده.

كان يحمل في يده ملف كبير واليد الأخرى يحمل ثلاثة أحجار، دخل الغرفة وأخذ الكرسي الذي كان يجلس عليه رحيم أمام شعبان، كانا ينظران له في دهشة كبيرة وعيونهم لم ترمش قط حتى دخل وجلس محمود على الكرسي وتعلو وجهه ابتسامة خافتة في وجوههم، ظلوا ناظرين إلى محمود مدة طويلة حتى هبَّت ريح قوية في الخارج أدت إلى غلق الباومخب بقوة ومعها انتفض شعبان ورحيم وفاقا من شرودهما، اعتدل شعبان في جلسته وقام رحيم بركل جثة سيد فتهاوت جثته على الأرض، ظل محمود ناظراً إليهم وقد اختفت ملامح الابتسامة على وجهه فتوترت ملامح رحيم وشعبان، العيون مترقبة لقيام محمود بعمل جريمة هنا بقتل رحيم وشعبان في وقت واحد، لمح رحيم ملف يقبض عليه تحت إبطه فعبس وجهه ونظر إلى شعبان فبادله نظرات الدهشة وكأنه رأى الملف مع محمود في نفس الوقت، فالمجرم يشعر بالمجرم مثله. نظر محمود إلى شعبان نظرة طويلة ارتبكت لها ملامحه "لم تتوقع مجيئي إلى هنا

أليس كذلك؟"، أتى صوت محمود ليحطم جسور كانت صامدة منذ سنين في لحظات، نظر إلى شعبان منتظراً منه إجابة لكن لم يرد عليه، فاقت دهشته والعيون الجاحظة تدل على الانتقام الشديد، نظر محمود إلى رحيم فشعر رحيم بأنه محاصر غير قادر على الفرار من هذا الحصار، ارتعشت شفتيه من جملة محمود القادمة واشتدت ضربات قلب شعبان "كيف حالك يا عمي؟" قالها محمود وابتسامة ظهرت جلياً على وجهه، لتنهار بتلك الكلمة كل حصون الخصمين وتعلن الاستسلام لمحمود، "إذا رأيتم الخوف في عيونكم في تلك اللحظة لعرفتم شعور ضحاياكم". ثم اتجه برأسه ناحية رحيم وّعرفتم أيضاً ما شعور روح الجثة عندما تُركل بالقدم وهي لاحول لها ولا قوة". ظلت عيون رحيم وشعبان مثبتة على محمود دون أن تتحرك وكأنهم ُمحنطين مثل مومياء ملك ُدفنت في تراب لم يستطع اختراق مواد التحنيط فاكتفى بتآكل لون الجثة فقط، كانت العيون جاحظة تراقب جميع ردود أفعال محمود المبتسم أمامهم، أشاح محمود بنظره إلى ملف في يده ورفعه في الهواء "ذلك الملف الذي كنت تملكه يا رحيم وظننت أنه يعفيك من كل جريمة ترتكبها" لم يتحرك أحد، ما زالت العيون ُمثبتة عليه دون تحرك .. دون أن ترمش العيون، ثم أكمل "الملف هذا يعرف قصته شعبان لأنه من المؤكد اكتشف أنه مصور وأن الأصل مسروق، كل ورقة بيضاء في هذا الملف تدل على جريمة ارتُكبت أو سوف تُرتكب". بثبات قوي أكمل كلامه رغم عدم تحرك أحد أو تأثرهم بما قاله "جريمة أولى باغتصاب الأرض والإجبار على ذلك، ثم اغتصاب البنت وأيضاً إجبارها على ذلك، ثم قتلها". تحولت ملامح رحيم من الدهشة إلى اختناق الأنفاس من تلك الجملة الأخيرة فتحركت رأسه قليلاً فهم منها محمود أن رحيم ما زال على قيد الحياة، أكمل محمود "جريمة ثانية عند توصية جارك شعبان ببيع الأرض" لمح محمود تحرك عيون شعبان ليعلنا إنصاتهم له، أردف محمود "جريمة ثالثة عند تولية سيد في قسم الشرطة معك واعتمادك عليه، والجريمة الرابعة هي مجيئك هنا" سكت لحظات ثم أكمل "كل خطوة كنت تخطوها يا رحيم لها ترتيب ومخطط معين تم وضعه من لحظة معرفتي بما حدث بسببك لهالة

أختي، كل شيء كان محسوب والبدائل كانت جاهزة للتضحية". رأى محمود عدم فهم لما قاله على وجه رحيم وشعبان ليكمل "لم تكن هناك قضية في ذلك اليوم، اتفقت مع سيد على فبركة قضية قتل شاب وفتاة لتستمر في طريقك في التخلص مني، وشعبان كان يريد أن يتخلص مني هو الآخر لهذا أرسل سيد من يقتل أمي، وأنت أيضاً أرسلت من يقتلها لكن بشرط أن يسبق من يرسله سيد، تتسابقون على القتل مثلما تتصارع ملائكة العذاب على أكتافكم لقبض أرواحكم وإلقائها في النار لتُعذب" بدى على رحيم اندهاش أكثر وبلغت حرارة وجهه فوق الخمسين درجة من ذهول ما سمعه وتخطيط محمود للانتقام منذ البداية، نظر إلى شعبان في لامبالاة ليأتي صوت محمود فينتبه له "ذلك الملف قد سرقته في يوم ذهابك إلى مسرح الجريمة في البيت عندي، قبلها .. اتفقت مع شخص يتصل بي ويحدثني على أنه مندوب شركة كبرى ويريد مني تصميم لأحد مشروعات شركته، ودعت أمي ونزلت، ووقفت بعيداً حتى وجدت عصام أمام العمارة انتظرت قليلاً حتى خرج من العمارة وكانت على ملامحه الرعب من أن يُفضح أمره، ثم رأيت سعيد يأتي بعد عصام ليتخلص من أمي هو الآخر لكن قد فاته الأوان، علمت حينها أن عصام أرسل لك رسالة كالمعتاد بينكم بعد كل جريمة، ركبت في سيارة أجرة وذهبت إلى القسم، وانتظرت حتى نزلت أنت وركبت في سيارة الشرطة ثم انطلقت، وانطلقت أنا إلى مكتبك لسرقة هذا الملف وتبديله بآخر مُزور". ظلت العيون جاحظة من ذلك التخطيط المبهر، أيعقل أن محمود فعل كل هذا دون علم أحد، ضلل الكل بضعفه وتهاونه مع المصائب، تنهد محمود بقوة، أردف "لقد كنت غبياً في ترك أمي تُقتل أمام عيني لكن رغبتي في انتقامي منكم كانت أقوى من أي شيء، اللعنة عليكم جميعاً". سكت لحظات ثم قال "لكن هناك خطأ صغير ارتكبتموه أنتم الاثنان أدى إلى نجاح خطتي أنا".

**موسيقى الرعب في الأبدان تخترق القلوب وتمر بين صمامه لتصيب العقل بالخوف، سيمفونية معزوفة بدون آلات، أشخاص تُصفق لها بدون أيادي، عيون بارقة من شدة فرحتها بتلك المعزوفة، لكن إذا دققنا النظر في الأمر ملْياً سنجد أن تلك المعزوفة في ذهن كل إنسان شارد، ليست بغريبة عليه عندما ُدقت أول رقع على طبول كثيرة، طعم القهوة أصبح مريراً مثل القلوب المحطمة، شعر بلذتها في البداية لكن بعد ذلك شعر أنها مثل التعاطي، بدونها يُصبح ُمغيب عن العالم من حوله. ذلك هو شعور الانتقام عندما يأتي في القلب، تجد كل جوارحك تتحرك بواسطته، إذا انحرفت عن مسارٍ قد رسمه لك يوماً من الأيام فقد كتبت نهايتك بنفسك، لن يمسسك بشر وأيضاً لن يمسسك جن، فقط هو الانتقام عندما يُولد في القلب يحترق كل شيء بداخلك من أجله.**

# ما قبل النهاية

ترنح المصباح الكهربائي ليأتي تارة على مكتب يجلس خلفه شعبان وتارة على جثة سيد الملقاة على الأرض بعد أن ركلها رحيم ليجلس على الكرسي، نظرات رحيم وشعبان لم تكن عادية، فإذا انتبهت لهم تجد أن جميع الوساوس تدور حولهم، شياطين تعبث بالهواء من بين أصابع أيديهم، شعر رحيم برعشة خفيفة في فخذه الأيمن لكن لا يعلم ما هو مصدرها، من المحتمل أن تكون بسبب كلمات محمود وتخطيطه المُحكم، في نفس الوقت شعر شعبان أن كل شيء رحل من أمامه، لا يرى إلا رماد أمام عينه، فكان انتقام محمود مخالفاً لكل توقعاتهم، شعر شعبان بأن كل حصونه قد تحطمت في مدة قليلة رغم السنين العديدة التي استغرقها في بناء تلك الحصون، لم تهب رياح منذ خمس دقائق، لم تهتز النافذة وكأن الريح يستمع لما يقوله محمود منتظراً اللحظة الحاسمة ليطيح بذلك البيت الكئيب، وضع محمود يده على الملف وقبض عليه بقوة ثم أكمل حديثه في صمت تام من شعبان ورحيم، "الخطأ الذي ارتكبتموه أعطى لي مُطلق الحرية في تخطيط باقي طريق سرت فيه لأنتقم منكم، لكن قبل أن أقول الخطأ أود أن أقول شيئاً لرحيم: ماذا كنت لتفعل إذا كنتُ فعلت بابنتك مثل ما فعلتَ مع أختي، ما سيكون رد فعلك؟ وأيضاً إذا دخلت على زوجتك وقتلتها أو ذبحتها ماذا كنت تفعل؟"نظر له رحيم طويلاً ثم جاء صوته متحشرجاً "ماذا تريد يا محمود؟" كان شعبان منصت لهم منتظراً دوره في كشف حقائق محمود له. ثم قال محمود "أريد العدالة، قل لي ما هي العدالة بالنسبة لك؟" شعر محمود بقوة خارقة تجتاح جسده بعد تلك الكلمة ليأتي رد رحيم "لا يوجد عدالة هنا، فقط من ينتصر هو الانتقام، كل شيء فعلته معك كان انتقاماً منك وانتقاماً من والدك الذي رفض بيع الأرض لي، كما قلت لك في الشقة بعد مقتل أمك، أنت تدفع الثمن بدلاً من أبوك، وإذا بحثت عن العدالة هنا ستظل تبحث عنها طوال عمرك ولن تنال منها أي شيء".

ابتسم محمود وكأنه أراد الرد المناسب من رحيم ليوجه كلامه إلى شعبان "وأنت يا شعبان ما هي العدالة بالنسبة لك؟" نظر شعبان إلى محمود في شك ثم قال بعيون مغمضة قليلاً "العدالة هنا هي الانتقام، دوامة قتل مستمرة لا تنتهي إلا بانتهاء أجلنا، تلك هي الحياة يا محمود هنا، أنت تريد الكثير وأنا أريد الكثير ورحيم يريد الكثير لكن الفائز هنا هو الانتقام فقط"هز محمود رأسه وكأنه أراد أيضاً الرد المناسب ليوضح حقيقة أخرى "الإجابة ليست مختلفة، أنتم الاثنان متشابهان حتى تفكيركم عن الانتقام، لكن دعوني أوضح لكم أمراً وأفسر لكم مدى غباء المنتقم من وجهة نظركم" شعر محمود بغضب رحيم الناظر له في غيظ، أشاح محمود وجهه بعيداً عنه ثم أكمل "الانتقام ينشأ نتيجة ظلم مستمر، لكن الذكي هو من يعمل بعقله قبل يده، اللعب على العقل أسهل شيء في الحياة التي تقول عنها، (نظر إلى شعبان) عندما يأتي الانتقام فكرياً فإنه يطيح بكل ما تُرتب له اليد". سكت قليلاً لتتحول ملامحهم من الدهشة إلى عدم الفهم واللامبالاة من كلام محمود ليردف الأخير "عصام انتحر" لينتبه له رحيم فجأة من نظراته إلى محمود وتبعه شعبان ليكمل محمود "انتحر بسبب أنه لمجرد توقعه أن هناك جثة هامدة تطارده" ما زالت النظرات إليه غير متفهمة ما يقوله ليكمل محمود "اتفقت مع بواب العمارة الذي كان على دراية بطريقة الدفن وطلبت منه أن يأتي إلى المقابر وراء البيت، ويفتح مقبرة فارغة ويضع بها كفن غير متساوي ليدل من ينظر إليه أنه كانت هناك جثة وهربت أو سُرقت من ذلك القبر، وطلبت منه أن يسير بطريقة معينة حتى يراها عصام ويُخيل له أن الجثة هربت من القبر". عادت ملامح الدهشة مرة أخرى على وجوههم ثم أكمل "في نفس الوقت شغلت عصام باختفاء الحجر الرابع الذي بحث عنه مدة أعطت للبواب القيام بمهمته المطلوبة منه، وعندما أتى عصام ورأى القبر المفتوح وآثار الأقدام بجانبه أخرج المسدس ثم انطلقت رصاصة قضت عليه". جحظت العيون من تلك الحقيقة الأخرى التي غفل عنها شعبان ورحيم، كان محمود يخطط لكل ذلك وهم لا يعلمون، نظر محمود لهم بالتتابع ثم قال "ليس الانتقام باليد وحدها يا رحيم، أليس كذلك؟" قالها بابتسامة تدل على

انتصاره مرة أخرى عليهم في وسط ذهولهم جميعاً، لا يريد محمود أن يطيل عليهم في تلك الدهشة، فكادت القلوب أن تنفطر وتموت من ذلك التخطيط قبل أن يعطيهم ضربته التي قضت على كل شيء بالنسبة لهم ثم نظر إلى رحيم نظرة طويلة ارتبك لها ثم قال "الدماء التي توصل إليها المعمل الجنائي أثبتت تقاريره أنها لم تكن دماء أمي" لتتثبت نظرات شعبان ورحيم على محمود في دهشة بالغة كادت أن تصعق بوجههم خارج أجسادهم ثم أكمل محمود "ذلك هو الفخ الذي وقعتم فيه يا سادة .. إن من ذهبوا لقتل أمي لم يعرفوها من الأساس، ولم يعرفوا أن من كانت في الشقة تلك اللحظة هي زوجتك يا رحيم".

***

(مشهد سابق)

"أين تذهب؟" جاء ذلك الصوت من ضابط في أحد الأكشاك الخاصة بالقسم المتواجدة في الخارج. فيرد عليه قائد حملة القبض على رحيم من وراء باب سيارة الشرطة "سأذهب كي أقبض على ..." لتكمل قنبلة في أسفل السيارة عدادها وتنفجر سيارة الشرطة أمام القسم وتتناثر أشلاء السيارة في كل مكان محيط بالقسم ومعها فارقت الحملة الحياة قبل أن تفشي عما كانت تنوي عليه.

***

ذاك هو الانتقام العقلي، حين تؤثر على خصمك بواسطة اللعب على العقل، الفائز هنا هو الانتقام بالفعل، لكن ليس أي نوع انتقام، الانتقام العقلي هو أشد الأنواع. وجوه عابسة أمامنا تريد أن تقطعها سكين حاد، التخطيط والتركيز هم أساس كل شيء، ليس الانفعال أو العصبية هم الانتقام، تلك الأشياء هي عقبة في طريق الانتقام. الموت سيأتي حتماً لكن الموت هنا يختلف، المعادلة هنا معكوسة كما أسلفنا، الموت هنا هو موت فكري يُدمر العقل ليأتي به أعلى الجبال ثم يركله فيتهاوى من أعلى ويلقى مصرعه، العقل هو الأداة المحركة للمنتقم، العقل هو الضحية .

# النهاية

بدأت الرياح تزلزل النافذة وراء الكرسي الذي يجلس عليه شعبان، كانت جملة محمود الأخيرة مثل الصاعقة التي ضربت رؤوس من حولها، ظلت العيون جاحظة لم تتحرك أبداً لفترة طويلة سكت فيها محمود ليرى رد فعل شعبان ورحيم، جاءت من أعماق رحيم زفرة معها لعنة لمحمود الجالس أمامه في برود شديد رغم حرارة وجوه من حوله، "كيف تكون زوجتي هي مكان أمك؟" أخرجها رحيم بصوت عالٍ ليدل على أن محمود قد نجح في خطته للمرة الثالثة، أتاه رد محمود بعد أن نظر إلى جثة سيد الملقاة على الأرض "الذي لا تعلمه يا رحيم .. أن زوجتك كانت تعمل خادمة في البيوت" ضغط رحيم على أسنانه وتمم بعينه على مسدسه أمامه ليسرع محمود في الكلام قبل أن يتخذرحيم قراراً بإطلاق النار عليه "بحكم ظروف عملك المستمر وبعدك عنها اضطرت أن ترعى ابنتها الوحيدة بأموال حلال تكسبها هي من تعبها، واتفقتُ مع أمي أن تكون العلاقة بينها وبين زوجتك جيدة لحين يأتي دورها في مخططي، أتت يوماً إلى البيت واستقبلتها أمي واتفقتا على أن تأتي غداً لتنظيف الشقة، ولحسن الحظ أنك ساعدتني بأنك كنت بعيداً أنت وزوجتك تماماً عن أمي حتى لا تتعرف زوجتك عليها، وحين أتت زوجتك خرجت أمي من باب خلفي في المطبخ إلى جراج في الأسفل وتركت زوجتك بالداخل وقُتلت على أنها أمي"استشاط رحيم غضباً وصرخ فيه "سأقتلك الآن يا كلب" قام من مكانه وصوب المسدس ناحية محمود الذي لم يحرك ساكناً ، وقام شعبان ليُهدئ من غضب رحيم ثم أكمل محمود "إذا قتلتني فلن تمر خارج البيت هذا بسلام، إن المشنقة تنتظرك بفارغ الصبر"هدأ رحيم من كلامه وأيضاً شعبان اندهش لتلك الكلمات ثم قال محمود "سيارة الشرطة التي أرسل شعبان من يفجرها أمام القسم تم الكشف عن مرتكب تلك الجريمة، ومن أرسلته يا شعبان اعترف أنك العقل المُدبر لتلك العملية، تلك السيارة كانت آتية إلى هنا كي تقبض

عليك لكن تخطيطي كان في محله أن شعبان سيفجر تلك السيارة لأنه يريد أن ينتقم منك" نظر الاثنان إلى بعضهما في دهشة كبرى، إنهم أمام رئيس عصابة كبرى تخطط وتنفذ، لقد خطط محمود ومن نفذ هم نحن "اللعنة علينا" قالها شعبان بعدها وجد رصاصة تخترق جسده من رحيم ليتكوم بجانب جثة سيد ليتبقى رحيم ومحمود في تلك الغرفة والصمت الذي خيم فجأة بعد صوت إطلاق النار .

نظر رحيم إلى شعبان المُلقى على الأرض ثم ببطء نظر إلى محمود الجالس في ثبات تام أربك رحيم ثم قال الأخير "لن أتردد لحظة واحدة في فصل رأسك عن جسدك أيها الوغد". نظر له محمود ثم قال لن تستفيد شيئاً من قتلي، ولن تستفيد أيضاً من قتل شعبان، أنت في تلك الأحوال ميت يا رحيم"، زادته كلماته غيظ أكثر من غيظه ثم قام بتصويب المسدس ناحية رأسه، لكن محمود لم يصدر أي رد فعل لهذا، كان جالساً في ثبات تام، قال وهو جالس ناظراً إلى جثة شعبان وسيد في الأرض "لن تستطيع أن تقتلني بهذا المسدس يا رحيم، لأن جزء من مخططي هو الاتفاق مع حارس مكتبك بتفريغ خزنة سلاحك ويضع بها طلقة واحدة فقط، وهي التي قتلت بها شعبان"رفع عينه في وجه رحيم وقال مبتسماً "المسدس الآن فارغ" فتح رحيم فاه من تلك الكلمات ورجع خطوتين للخلف ثم جرى بسرعة كبرى وهو يصرخ اتجاه محمود، كانت ملامح محمود متوترة ووجهة أصبح مختنق، فجأة وجد رحيم أمامه واقترب من الإطاحة به وبالكرسي لكن انحرف سريعاً ومر خلف محمود واصطدمت رأسه بالحائط لتُرج حوائط الغرفة، وقع رحيم من أثر ذلك الاصطدام، ثم قام وجرى بسرعة واصطدم بالحائط في الجهة الأخرى، لمح محمود قطرات دماء ساقطة بجانبه أثناء مرور رحيم، ليظر إليه يجده واقفاً يترنح مثل المصباح في الأعلى ويتهاوى جسده ليظهر وجهه الملطخ بالدماء، قام محمود ونظر إليه ثم وضع يده على قلب رحيم فلم يجد نبضاً ، والأنفاس قد انقطعت، ابتسم محمود في انتصار ثم أخذ الملف وفتحه وأخرج ثلاث ورقات، كتب على الأولى الجريمة الثانية ثم قام بوضعها على جثة سيد ووضع فوقها حجر منقوش عليه حرف S ثم كتب على الورقة الثانية الثالثة ووضعها

فوق رحيم ومعها حجر منقوش عليه حرف R ثم كتب على الورقة الثالثة الجريمة الرابعة ووضعها على المكتب وبجانبها الملف والحجر منقوش عليه رقم ٤، ثم ينظر إلى الجثث أمامه ويخرج من البيت منتصراً دون أن يلوث يده بقطرة دماء واحدة .

***

"نهاية الانتقام العقلي أحياناً تكون الجنون، دماء بدون بشر، وبشر متعطشة إلى دماء بشر مثلهم، مصاصي دماء العقل هم المنتصرون، هم من يكتبون نهاية الانتقام العقلي. لذة في امتصاص الفكر لصالحك، لتأتي بما هو غير متوقع كي تغرق كل السفن التي تؤدي إلى بر الأمان، جرائم متعددة، بشرية تريد القتل، العقل هو المفتاح الرئيسي في الانتقام، وكما قلت سابقاً إن المعادلة هنا معكوسة، لكن في النهاية تعتدل المعادلة، تظهر الخفايا وتُفضح الأسرار. الجريمة الأولى كانت باليد، والثانية كانت باليد والثالثة أيضاً، لكن هناك من يأتي بجريمة تطيح بالجميع، أسلوب تخطيطها ليس سهلاً، تحتاج لوقت كبير لفهم خطوطها العريضة التي لن تُفهم إلا بفهم الخطوط الرفيعة وخفاياها. الجريمة التي تنتقم من الجميع في ضربة واحدة هي الجريمة الرابعة".

تمت بحمد الله .